

شَرْحُ ثلاثَةِ الأُصُوْلِ وأدلتها

شَرْحُ القَوَاعِدِ الأَرْبَــعِ

شَـــرْحُ نَوَاقِضِ الإسْلامِ

شَرْحُ الأصول الـستـة

ح دار الصميعي للنشر والتوزيع ، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحمد، حمد بن عبدالله

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها- شرح القواعد الأربع- شرح نواقض الإسلام- شرح الأصول الستة/ حمد بن عبدالله الحمد- الرياض، ١٤٤١هـ

ص: ١٠٢ ؛ سم: ١٧×٢٤

ردمك: ٥- ٨٨- ٨٢٦٦- ٦٠٣- ٩٧٨

١- العقيدة الإسلامية ٢- التوحيد أ. العنوان

ديوي: ٢٤٠ ١٤٤١/ ٨٨٦٦

رقم الإيداع: ١٤٤١/٨٨٦٦

ردمك: ٥- ٨٨- ٨٢٦٦- ٦٠٣- ٩٧٨



الطبعة الأولى

١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م

دار الصميعي للنشر والتوزيع، المركز الرئيسي السويدي، شارع السويدي العام -الرياض

ص. ب: ٤٩٦٧/ الرمز البريدي: ١١٤١٢هاتف: ٤٢٦٢٩٤٥، ٤٢٥١٤٥٩

فاكس: ٤٢٤٥٣٤١

فرع القصيم: عنيزة، بجوار مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية

هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨، فاكس: ٣٦٢١٧٢٨ مدير التسويق: ٠٥٥٥١٦٩٠٥١

المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: daralsomaie@hotmail.com



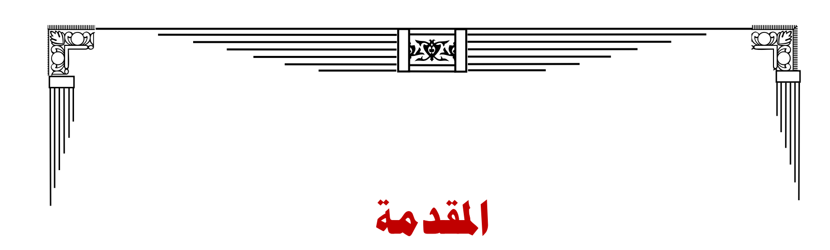
شَـــــرْحُ

ثلاثة الأصول وأدلتها

لفضيلةِ الشيخِ

حمد بنِ عبدِ اللّهِ الحمد

حفظَه اللهُ



المقدمة

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، أما بعدُ:

فهذه شروحٌ مختصرةٌ لأربعةِ كتبٍ؛ هي: **ثلاثةُ الأصولِ، والقواعدُ الأربعُ، ونواقضُ الإسلامِ، والأصول الستة**، كلُّها للإمامِ المجدِّدِ الشيخِ محمدِ بنِ عبدِ الوهابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ المُتوفَى سنةَ ١٢٠٦ هـ.

وكنتُ قد ألقيتُها بمدينةِ حائلٍ، فطلبَ مني بعضُ الإخوةِ طباعتَها ليُستفادَ منها، بعد أن فرَّغها ورتَّبها ثُمَّ راجعَها.

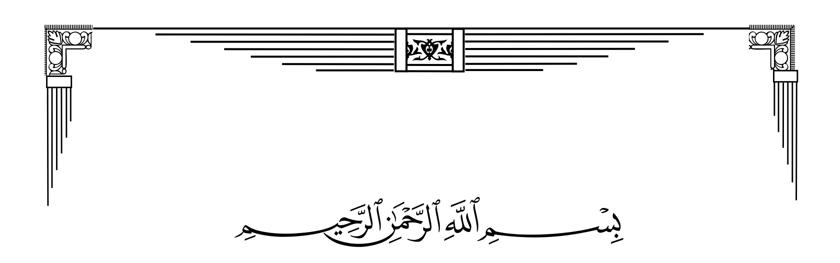
أسألُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا أن ينفعَ بها مؤلِّفَها وجامعَها وقارئَها، إنه جَلَّ وَعَلَا مجيبُ الدعاءِ.

كتبه

حمدُ بنُ عبدِ اللهِ الحَمَد

عَضْوُ مَرْكزِ الدعوةِ والإرشادِ بحائلٍ

ورئيسُ لجنةِ إصلاحِ ذاتِ البَيْنِ



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعينُ وصلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعين.

قالَ شيخُ الإسلامِ المجدِّدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اعْلَمْ -رحِمَكَ اللهُ- أنه يجبُ علينا تعلُّمُ أربعِ مسائلَ)**.

فبين أيدينا رسالةٌ جامعةٌ نافعةٌ للشيخ الإمامِ المجدِّدِ شيخِ الإسلامِ محمدِ بن عبدِ الوهابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهذه الرسالةُ قد أُلِّفتْ للعامةِ؛ ليحفظوها وليفهموا ما فيها؛ فإنها من العلمِ العينيِّ الذي يجبُ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ.

ولقد اعتنى أهلُ نجدٍ بهذه الرسالةِ النافعةِ فكانوا يَحفظونها عامَّتُهم وخاصَّتُهم، حتى أنك لتجدُ بعضَ كبارِ السنِّ ما زال يحفظُ ما تَلقَّنَه من ألفاظٍ وجملٍ في هذه الرسالةِ النافعةِ للشيخِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهذه الرسالةُ قد جمعت مبادئَ الإسلامِ، فإذا أراد المسلمُ أن يُعَرِّفَ بالإسلامِ الذي يَدينُ به فإنَّ هذه الرسالةَ فيها مبادئُ الإسلامِ، وفيها تعريفٌ بهذا الدينِ الحنيفِ الذي بُعثَ به خاتمُ الأنبياءِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وقد بدأَ الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالدعاءِ لطالبِ العلمِ بالرحمةِ، وهذا من التلطفِ في تعليمِ العلمِ، فإنَّ العلماءَ قد جمعوا مع العلمِ الرحمةَ للخلقِ، فعندهم علمٌ ورحمةٌ، فتجدُ أنَّ أهلَ العلمِ في بابِ الإجازةِ في السُّنَّةِ يبدؤون بهذا الحديثِ:

«**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ اللهُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»،(١)وهذا الحديثُ هو المعروفُ بالمسلسلِ بالأوليةِ، أي كُلُّ راوٍ يقولُ: **"وهو أولُ حديثٍ سمعتُه منه"**، فالحاصلُ أنَّ الشيخَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدأَ بالدعاءِ من باب التلطفِ والعنايةِ بطالبِ العلمِ.

قوله: (إنه يجبُ علينا تعلُّمُ أربعِ مسائلَ)، العلمُ منهُ **علمٌ عينيٌّ واجبٌ**، ومنه **علمٌ كفائيٌّ مستحبٌ** إذا قامَ به البعضُ سقطَ الإثمُ عن الباقين.

و العلمُ العينيُّ هو: ما تصونُ به اعتقادَك، وعباداتِك، ومعاملاتِك؛ لئلا تقعَ في الخطأِ، فهذا هو العلمُ العينيُّ الواجبُ على كلِّ مسلم كما قالَ ﷺ فيما رواه ابنُ ماجه: «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»(٢)، وهو حديثٌ حسنٌ لغيرِه.

وفي الصحيحين: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(٣)، فهذهِ الرسالةُ من العلمِ العينيِّ الذي يجبُ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ أن يتعلَّمَه، ولا يُعذرُ بجهلِه، وينبغي لطالبِ العلمِ كما تقدَّمَ أن يحرصَ على حفظِها؛ ليُعلّمَها الناسُ، وليعلمَها خاصَّتُه وعامَّتُه.

قالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الأُوْلَى العِلْمُ وَهُوَ: مُعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِيْنِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ)**:

---

(١) أخرجه أحمد (٦٤٩٤)، وأبو داوود (٤٩٤١)، و الترمذي (١٩٢٤)

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب (العلم)، باب (فضل العلماء والحث على طلب العلم)، (١/ ٨١)، رقم (٢٢٤)، من حديث انس بن مالك.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب (العلم)، باب (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) (١/ ٢٥)، رقم (٧١)، ومسلم، كتاب (الزكاة)، باب (النهي عن المسألة)، (٢/ ٧١٩)، رقم (١٠٣٧)، من حديث معاوية بن أبي سفيان.

فالعلمُ معرفةُ اللهِ، هذا هو الأصلُ الأوَّلُ.

ومعرفةُ النبيِّ ﷺ، وهذا هو الأصلُ الثاني.

ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بَالأَدلة، وهذا هو الأصلُ الثالثُ.

وقوله: (بِالأَدِلَّةِ)؛ لِيَجزمَ لئلا يكونَ عنده شكٌّ.

لا بُدَّ وأن يعلمَ بالأدلَّةِ، فيعلمَ أنه لا إلهَ إلا اللهُ، ويعلمُ أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، يعلمُ ذلك بالأدلةِ من الشرعِ، والأدلةِ من العقلِ، ومن الفطرةِ، فلا بدَّ من معرفةِ الحقِّ بدليلِه.

فيعرفُ أنَّ اللهَ هو المستحقُّ للعبادةِ، يعرفُ ذلك بالأدلةِ، فعند قراءتِه للقرآنِ كقولِه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وقولُه: ﴿وإلهكم إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾.

يعلمُ ذلك عند تدبُّرِه للآياتِ الكونيةِ، فيعلمُ أنَّ اللهَ هو الربُّ المستحِقُّ للعبادةِ.

يعلم ذلك بفطرتِه أيضًا، فإنَّ العبادَ مفطورون على الحنيفيَّةِ السَّمْحةِ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

إذن لا بدَّ من معرفةِ ذلك بالأدلةِ، والشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الرسالةِ يُوردُ الأدلَّةَ على هذهِ الأصولِ الثلاثةِ.

قوله: (الثانيةُ: العملُ به)، لا بُدَّ من العملِ، أي لا يكفي العلمُ بلا عملٍ، لا بدَّ وأن يعملَ بما علمَ، فالذي يعلمُ ولا يعملُ، هذا فيه شبَهٌ باليهودِ الأمَّةِ المغضوبِ عليها، والذي يعملُ بلا علمٍ فيه شبَهٌ من النصارى الأمَّةِ الضَّالَّةِ.

وكذا قالَ بعضُ السلفِ: **"من فسدَ من علماءِنا ففيه شبهٌ من اليهودِ، ومن فسدَ**

من عُبَّادِنا ففيه شبهٌ من النصارى"(١)– نسألُ اللهَ العافيةَ –.

قوله: (الثالثةُ: الدعوةُ إليه)، فإذا علمتَ وعملتَ، فادعوا إلى اللهِ، تدعو عشيرتَك، وتُعلِّمُ أولادَك، وجيرانَك، وطلابَك إن كنتَ مدرسًا، ومن حولك من الناسِ، سواءٌ كانت الدعوةُ هكذا خاصةً، أو كانت دعوةً عامَّةً من خلال إلقاءِ المحاضراتِ والكلماتِ فلا بدَّ من الدعوةِ إلى اللهِ تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

قوله: (الرابعةُ: الصبرُ على الأذى فيه)، إذا دعوتَ إلى اللهِ وعملتَ بهذا الشرعِ فإنه لا بدَّ من أذًى يلحقُك فاصبرْ كما قالَ الله عن لقمانَ: ﴿يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾، فقد يلحقُكَ أذىً سواءٌ كانَ الأذى بالكلامِ أو كانَ الأذى بشيءٍ آخرَ يزيدُ على الكلامِ من ضربٍ أو غيرِ ذلك، لكنَّ المؤمنَ يصبرُ، والصبرُ على ثلاثةِ أنواعٍ:

(١) صبرٍ على الطاعةِ.

(٢) صبرٍ عَنِ المعصيةِ.

(٣) صبرٍ على الأقدارِ المؤلمةِ.

١– فالنوعُ الأولُ: أن تصبرَ على الطاعةِ كما قالَ تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، فالعبدُ مأمورٌ بأن يصبرَ على فعلِ ما أمرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ به؛ لأنَّ النفسَ قد تدعوه للكسلِ والتفريطِ والتهاونِ بما أوجبَه اللهُ عليه لكنَّه يصبرُ.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٦٥).

٢- **النوعُ الثاني**: صبرٌ عن المعصيةِ، كذلك النفسُ قد تدعوه إلى المعاصي من الشهواتِ، لكنَّه يصبرُ ويمنعُ نفسَه، وإنما الصبرُ كما قيلَ ساعةٌ، يحتاجُ أن يتجلَّدَ حتى يتعوَّدَ على الصَّبْرِ، ويكونُ الصبرُ بعد ذلك سجيَّةً له، فقد يتعبُ في أولِ الأمر، يعاني عندما يمنعُ نفسَه من شهواتِها، عندما يمنعُها من مراداتِها، لكنه بعد ذلك يجدُ لذَّةً، ويجدُ طُمأنينةً، ويجدُ سعادةً إذا منعَ نفسَه، وتدبَّرْ حالَ الصائمِ، فإنه يمنعُ نفسَه عن الطعامِ والشرابِ، فإذا أذَّنَ المغربُ فرِحَ فرحًا أعظمَ من فرحِ الذي يطعمُ ويشربُ ولذا قالَ ﷺ: «**لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ**»[(١)]، هكذا الذي يمنعُ نفسَه عن المعاصي فإنَّ له فرحتينِ، فرحةً عندما يغلبُ نفسَه ويمنعها، وفرحةً أيضًا عند لقاءِ ربِّه عندما يجازيه اللهُ جزاءَ الصابرين: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

٣- **النوع الثالث**: صبرٌ على أقدار الله المؤلمة: فإذا أصيب العبد بنقص أو فقدٍ بنفسه، أو ولده، أو أهله، أو قريبه، أو ماله أو غيرِ ذلك من المصائب فإن المؤمن يعلم أن ذلك من عند الله، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه كما ورد ذلك عن النبي ﷺ[(٢)] فيصبر على قدر الله جل وعلا ولا يتسخط، ولا يشق جيبًا، ولا يدعو بالويل والثبور عند فقد أحد وغير ذلك من الأفعال والأقوال الدَّالة على تسخطه على قضاء الله وقدره.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب (الصوم)، باب (هل يقول إني صائم إذا شتم)، (٣/ ٢٦)، رقم (١٩٠٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٥/١٨)،(٤/٤٠٩)، (٤/٤٨٧)، وأخرجه الترمذي (٤/٢٤٨)، (٤/٦٦٧) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهم

قوله: (والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تعالى: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيم ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾)، يُقْسِمُ اللهُ تعالى بهذهِ السورةِ -التي هي من جوامعِ الكلامِ- بالعصرِ، أي الزمنِ والوقتِ الذي هو ظرفٌ للأعمالِ سيِّئِها وصالِحِها، وهذا القَسَمُ من اللهِ أذانٌ بأهميةِ الوقتِ وإعلامٌ بفضلِه.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾: أي إنَّ جنسَ الإنسانِ لفي خسرٍ، أي إنَّ كلَّ إنسانٍ لفي خسارةٍ وخيبةٍ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: والإيمانُ كما هو معلومٌ: قولٌ، وقصدٌ، وعملٌ، وعلى ذلك فلا بدَّ في الإيمانِ من علمٍ، فهذه هي مرتبةُ العلمِ.

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: هذه من بابِ عطفِ الخاصِّ على العامِّ، لأنَّ الأعمالَ الصالحاتِ من الإيمانِ وهذه هي المرتبةُ الثانيةُ وهي مرتبةُ العَمَلِ.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾: أي وصَّى بعضُهم بعضًا بالحقِّ، وهذه هي المرتبةُ الثالثةُ وهي مرتبةُ الدعوةِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾: هذه هي المرتبةُ الرابعةُ وهي مرتبةُ الصبرِ على الأذى.

قوله: (قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّوْرَةُ لَكَفَتْهُمْ»)؛ لتضمُّنِها كما تقدَّمَ ما أوجبَه اللهُ تعالى على عبادِه إجمالًا من العلمِ، والعملِ، والدعوةِ، والصبرِ على الأذى، فتضمنت ما فيه نجاةُ العبدِ، وما فيه سلامتُه من الخسارةِ على بابِ الإجمالِ، لكن في الأدلةِ الأخرى تفاصيلُ ذلك.

قوله: (قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بَابُ (العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ)، والدَّلِيْلُ قَوْلُه

تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ»)، فالعلمُ قبلَ القولِ والعملِ، ولذا بوَّبَ هذا الإمامُ الفقيهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذه الآيةِ، فقالَ: بابٌ (العلمُ قبلَ القولِ والعملِ): فالعلمُ قبلَ القولِ وقبلَ العملِ، فإن سبقَ القولُ أو العملُ العلمَ فإنه يفسدُ الإنسانُ إذا كانَ يعملُ من غيرِ علمٍ ولا بصيرةٍ، ففيه كما تقدَّمَ شبهٌ من النصارى.

قوله: (اِعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِلَ، وَالعَمَلُ بِهِنَّ. الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بل أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُوْلًا، فَمَنْ أَطَاعَه دَخَلَ الجنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، والدَّلِيْلُ قَوْلُه تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾)، هَذِهِ أَيْضًا مَسَائِلُ ثلاثٌ يَجِبُ عَلَى المُسْلِمِ أنْ يَتَعَلَّمَهَا.

أ – **المسألةُ الأولى**: أنَّ اللهَ خلقنَا ورزقنَا، ولم يتركْنا هَمَلًا غيرَ مُكلَّفين، بل إنَّه أرسلَ الرُّسلَ وأنزلَ الكتبَ. قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦]، فكلُّ أمةٍ من الأممِ أرسلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إليها رسولًا يدعوها إلى توحيدِ اللهِ تعالى.

قوله: (الثانيةُ: أن اللهَ لا يَرْضَى أَنْ يُشرَكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِه أَحَدٌ، لا مَلَكٌ مقرَّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ)، فاللهُ تعالى يغارُ على التوحيدِ، ويغضبُ أن يُشرَكَ معه غيرُه، ولا يرضى بالشِّرْكِ، ولو كان ذلك لنبيٍّ مرسلٍ كمحمدٍ ﷺ، وعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أو كان هذا لوليٍّ صالحٍ كعليٍّ والحسينِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أو كانَ هذا أيضًا لملَكٍ مقربٍ كجبريلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فاللهُ تعالى لا يرضى أن يُشْرَكَ معه أحدٌ في عبادتِه.

قوله: (والدليلُ قَوْلُه تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾) [الجن: ١٨]، الدعاءُ نوعانِ:

١- دعاءُ مسألةٍ: عندما يقولُ العبد: «أسألُك أن ترزقَني، أسألُك أن تغفرَ لي، أسألُك أن ترحمَني»، هذا دعاءُ مسألةٍ.

٢- دعاءُ عبادةٍ: وهو أن ينصرفَ إليه ما رضيَه اللهُ عَزَّوَجَلَّ من العباداتِ من صلاةٍ، وصومٍ، وصدقةٍ، وحجٍّ وغيرِ ذلك، هذا يُسمَّى دعاءَ عبادةٍ، وذلك لأنَّ لسانَ حالِه الدُّعاءُ، فهذا الذي يصلي يسجدُ للهِ عَزَّوَجَلَّ كأنَّه يقولُ أنا يا ربِّ إنما سجدتُ لك لتغفرَ لي، أنا إنما أُصلِّي لك لترضى عني، عندما يُخرجُ زكاةَ مالِه كأنه قالَ: يا ربِّ أنا إنما أخرجتُ زكاةَ مالي لترضى عني، ولذا هذا يُسمَّى بدعاءِ العبادةِ.

إذن: صورتُه صورةُ العبادةِ، لكن معناه معنى الدعاءِ؛ لأنَّ لسانَ حالِه الدعاءُ.

لكن الذي يقولُ يا ربِّ اغفرْ لي هذا لسانُ مقالِه الدُّعاءُ، والذي يسجدُ ويصلي هذا لسانُ حالِه الدعاءُ؛ ولذا فإنَّ الدعاءَ نوعانِ، دعاءُ عبادةٍ ودعاءُ مسألةٍ.

والدعاءُ هو العبادةُ كما قالَ تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ فسمَّى الدُّعاءَ عبادةً، وقالَ ﷺ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(١).

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب (الصلاة)، باب (الدعاء)، (٢/ ٧٦)، رقم (١٤٧٩)، والترمذي، (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ)، باب (ومن سورة البقرة)، (٥/ ٦١)، رقم (٢٩٦٩)، وابن ماجه، كتاب (الدعاء)، باب (فضل الدعاء)، (٢/ ١٢٥٨)، رقم (٣٨٢٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قوله: (الثالثةُ: أنَّ من أطاعَ الرسولَ ووحَّدَ اللهَ لا يجوزُ له موالاةُ من حادَّ اللهَ ورسولَه، ولو كانَ أقربَ قريبٍ، والدليلُ قولُه تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾) [المجادلة:٢٢]، **هذه المسألةُ الثالثةُ**: وهي أصلٌ من أصولِ الدينِ، وهي مسألةُ الولاءِ والبراءِ، أن تُواليَ المؤمنينَ وأن تُعاديَ المشركين، وهي داخلةٌ في معنى لا إلهَ إلا اللهُ.

فإنَّ الإسلامَ يدخُلُ فيه وفي معنى لا إلهَ إلا اللهُ البراءةُ من الشركِ وأهلِه، وهذه المسألةُ قد تُشْكِلُ على كثيرٍ من المشتغلين بالعلمِ بحيثُ لا يميِّزُ بين ما يكونُ من الموالاةِ كفرٌ يُخرجُ من الملةِ، وما يكونُ من الموالاةِ كبيرةٌ من كبائرِ الذنوبِ.

وهذا التقسيمُ قرَّرَهُ أئمةُ الدعوةِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، ودلَّت عليه النُّصُوصُ من كتابِ اللهِ وسنَّةِ محمدٍ ﷺ.

والموالاةُ: مصدرُ «والى» يُوالِي موالاةً، وهي: المحبَّةُ والنصرةُ.

وأما التولِّي: فهو مصدرُ«تولَّى» أي: اتخذَه وليًّا، وهو: بمعنى المحبةِ التامةِ والنصرةِ الكاملةِ.

وضابطُ ما يُخرجُ من الملةِ-وهو التولي-: أن يحبَّ الشركَ أو الكفرَ وأهلَه، كالذي يقولُ: إن هؤلاء النصارى يعبدون اللهَ، يصلون ويتصدقون وأهلُ دينٍ سماويٍّ، فيقول أنا أحبُّهم لأنهم يعبدون اللهَ فهذا من التولِّي الذي يُخرجُ صاحبَه مِنَ الإسلامِ.

أيضًا إذا ظاهرَ المشركين على المسلمين أي حاربَ مع المشركين ضدَّ

المسلمين لا لمصلحةٍ دنيويةٍ ترجعُ إليه؛، بل يقاتلُ من أجلِ أن تظهرَ هذه الديمقراطياتُ والحرياتُ وهذه الأديانُ التي تخالفُ ما جاءَ به النبيُّ ﷺ ولتكون كلمةُ الكفرِ هي العليا، هذا من التولِّي الذي يُخرجُه من الإسلامِ.

وأمّا الموالاة فهي دون ذلك وليست كفرًا، منها ما يكون كبيرة من الكبائر، ومنها ما دون ذلك، هذا يُسمى بالموالاة مثل: الذي يوالي الكفار طمعًا في قوة رئاسته مثلًا، وقوة دولته، فيُظاهر الكفار وهو لا يُريد أن ينتصر الكفار على المسلمين، لكنه يُريد منهم مصالح ونحو ذلك، فهذه ليست من التولي المُكفِّر بل هي من الموالاة، منها ما يكون فسقًا، ومنها ما يكون دون ذلك.

أو الذي يُقرِّب الكفار ويجعلهم وزراء له ونحو ذلك، ويجعلهم حاشية له هذا كله من الموالاة المحرمة، ولذا الله جَلَّ وَعَلَا قال في سورة الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾[الممتحنة:١]، قال ذلك في حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما نقل سر المسلمين وهو من أعظم الموالاة، لكنه كان يطمع بنصر الله ويرى أن هذا النقل لا يضر بالمسلمين، ولكنه أراد أن تكون له يد على الكفار فنقل لهم خروج النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إليهم، فقال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، فناداه باسم الإيمان، ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ **الآية**، فحاطب من أهل بدر ولم يكفر بذلك، بل قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لعمر: «**لَعَلَّ اللهَ تَعَالَى اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب (الجهاد والسير)، باب (إذا اضطر الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة، والمؤمنات إذا عصين الله، وتجريدهن)، (٤/ ٧٦)، رقم (٣٠٨١)، من حديث أبي عبد الرحمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بعضُ الناسِ أيضًا يتخذُهم بِطانةً وجُلساءَ، ويستشيرُهم وينبسطُ معهم، هذا أيضًا داخلٌ في هذا البابِ، ونحوُ ذلك هذا كلُّه من الكبائرِ، وهي متفاوتةٌ بعضُها فوق بعضٍ هذه تُسمَّى بالموالاةِ.

والكفرُ يُسمَّى بالتولِّي، قالَ تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾، وضابطُه كما تقدَّمَ المحبةُ لدينِهم، ولما هم عليه، أو الوقوفُ معهم لتكونَ كلمتُهم ولتكونَ أديانُهم ولتكونَ معتقداتُهم هي العليا، وهذا كما تعلمونَ لا يصدُرُ إلا من منافقٍ، واللهُ أعلمُ.

قوله: (اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إبراهيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا كَمَا قَالَ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وَمَعْنَى يَعْبُدُونَ: يُوَحِّدُونَ)، ذكر الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الجملةِ أنَّ الحنيفيَّةَ هي ملةُ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي أُمِرَ نبيُّنا ﷺ باتباعِ مِلَّتِه، فقالَ تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾، **والحنيفُ هو**: المقبلُ إلى اللهِ وحدَه، المعرِضُ عمَّا سِواه.

مُقبلٌ على اللهِ، متوكلٌ عليه، محبٌّ له، خائفٌ منه، متعلِّقٌ به ويُعرِضُ عمَّا سواهُ، فإقبالُه على اللهِ وحدَه، لا يتعلَّقُ مثلُه بغيرِه هذا هو الحنيفُ، فهو مائلٌ عن الشركِ مستقيمٌ على التوحيدِ.

إذن: الحنيفُ هو المقبلُ على اللهِ وحدَه، المعرضُ عمَّا سواهُ، أو هو المائلُ عن الشركِ المستقيمُ على التوحيدِ.

هذا هو دينُ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي أُمِرَ نبيُّنا محمدٌ ﷺ باتباعِ ملتِه قالَ تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾، قالَ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ

وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾، هذا هو معنى لا إلهَ إلا اللهُ.

﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾: بمعنى: «لا إلهَ».

﴿ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾: بمعنى «إلَّا اللهُ».

فيتبرأُ من الطاغوتِ الذي يُعبدُ من دونِ اللهِ، يتبرأُ من كل معبودٍ سواه.

فإذن: هي بمعنى كلمةِ التوحيدِ لا إلهَ إلا اللهُ، إلى أن قالَ تعالى:﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ باقية في عقبه لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾، ﴿جعَلَهَا﴾: أي هذه الكلمةُ التي هي كلمةُ التوحيدِ "لا إلهَ إلا اللهُ" باقيةٌ في عقِبِ أبينا إبراهيمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾: أي لعلَّ عقِبَه يرجعون إلى هذه الكلمةِ ولا يُخالفونها.

وهذه الأديانُ الثلاثُ دينُ الإسلامِ، ودينُ اليهودِ، ودينُ النصرانيةِ، الإسلامُ الذي هو دينُ الحقِّ هو الذي بعثَ به محمدًا ﷺ وهو من ذريَّةِ إبراهيمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، والنصرانيةُ وهي الآن محرَّفَةٌ غيرُ مقبولةٍ منسوخةٍ، لكنَّها في الأصلِ قد بُعِثَ بها عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وهو من عقِبِ إبراهيمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فإنه ابنُ مريمَ، وهي من عقِبِ إبراهيمَ.

وكذلك موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فإنه من عقِبِ إبراهيمَ أبي الأنبياءِ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

إذن: دينُه –وهو إمامُ الحنفاءِ– عبادةُ اللهِ وحدَه لا شريكَ له وقد خلقَ اللهُ العبادَ لعبادتِه، خلَقَ الثقلين الجنَّ والإنسَ لعبادتِه قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾، **أي**: إلاَّ ليُوحِّدُونِّ، فما خلقَ اللهُ الثقلين الجنَّ والإنسَ إلا لعبادتِه.

قوله: (وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيْدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالعِبَادَةِ، وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ، وهو دَعْوَةُ غَيْرِه مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾)، فأعظمُ المحرَّماتِ وأقبحُها وأفحشُها أن تجعلَ للهِ نِدًّا وهو خلقك، هذا هو أعظمُ الذنبِ، فالشركُ أعظمُ ما نهى اللهُ عنه، والتوحيدُ هو أعظمُ الواجباتِ، وأوَّلُ واجبٍ يُؤمرُ به المكلَّفُ، وهو الذي به بُعثت الرسلُ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ وله أُنزلت الكتبُ، وخُلقتِ الجنةُ والنارُ، فهو أولُ واجبٍ على العبادِ، وهو الذي من أجلِه خُلقَ العبادَ، قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ اعبدوا الله واجتنبوا ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾.

قوله: (فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ التي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُها؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ وَدِيْنَهُ وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ)، هذه الأصولُ الثلاثةُ التي يجبُ على كلِّ مسلمٍ أن يتعلَّمَها، وأن يعرفَ دليلَها؛ لِيكونَ عارفًا عالمًا بها.

١- الأصلُ الأولُ: معرفةُ الرَّبِّ تعالى.

٢- الأصلُ الثاني: معرفةُ النبيِّ ﷺ.

٣- الأصلُ الثالثُ: معرفةُ الإسلامِ.

كُلُّ ذلكَ بالأدلَّةِ.

قوله: (فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَنْ ربُّكَ؟ فَقُلْ: ربِّيَ اللهُ الذي ربَّاني وربَّى جميعَ العالمين بنعمِهِ وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواه، والدليلُ قولُه تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ وأنا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ العَالَمِ)، هذا هو الأصلُ الأوَّلُ: معرفةُ الرَّبِّ تعالى.

(فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَنْ ربُّكَ؟ فَقُلْ: ربِّيَ اللهُ الذي ربَّاني وربَّى جميعَ العالمين بنعمِهِ)، بمعنى أنه ربَّاني بنعمتِهِ في مُختلِفِ الأطوارِ، وأنت جنينٌ في بطنِ أمِّك، وأنت وليدٌ، وغلامٌ، وشابٌّ، وشيخٌ، وكهلٌ، إلى غيرِ ذلك من أطوارِك، فاللهُ هو الذي يُربِّيكَ فيُغذِّيكَ بالنِّعَمِ، ويُنعِمُ عليك بما شاءَ من النِّعَمِ الحسيةِ والنِّعَمِ المعنويةِ؛ لأنَّ التربيةَ تعني أن يتدرَّجَ بالإنسان في مُختلِفِ أطوارِه للوصولِ به إلى الكمالِ الإنسانيِّ، هذا في أصلِ التربيةِ، فاللهُ يُربِّي عبادَه بنعمِه، أخرجَنا من بُطونِ أُمَّهاتِنا لا نعلمُ شيئًا.

وأيضا هذه الاختراعاتُ الكثيرةُ المتنوعةُ كلُّها داخلةٌ في تربيتِه لعبادِه فهو يربِّي عبادَه في مختلفِ الأطوارِ بنعمِه الحسيَّةِ والمعنويَّةِ.

والربُّ هنا بمعنى المعبودِ؛ ولذا قالَ المؤلِّفُ هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لي مَعْبُودٌ سِوَاه**»، وذلك أنَّ الربَّ له إطلاقانِ في الشرعِ:

الإطلاقُ الأولُ: بمعنى الخالقِ المالكِ المدبرِ المتصرِّفِ في شؤونِ العبادِ. هذا هو الربُّ، وهذا هو معنى توحيدِ الربوبيَّةِ، بأن يُفردَ اللهُ بأفعالِه من خلقٍ ورزقٍ وإحياءٍ وإماتةٍ وتصرُّفٍ وتدبُّرٍ.

الإطلاقُ الثاني: أن يكونَ الربُّ بمعنى المعبودِ، وذلك لأنَّ الربوبيَّةَ تستلزمُ الألوهيَّةَ، وتدلُّ على الألوهيةِ، فالربُّ الخالقُ الرازقُ المالكُ المحيي المميتُ هو المستحقُّ للعبادةِ دون ما سواه.

إذن: الرَّبُّ يُطلقُ ويرادُ به الخالقُ الرازقُ المالكُ المدبِّرُ للشؤونِ، ويُطلقُ ويُرادُ به المعبودُ، ومنه قولُه تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا ﴾، لم يكونوا يعتقدونَ أنَّ الأحبارَ والرُّهبانَ قد خلقوهم، ولا أنهم هم المالكون لهم ولا أنهم المدبرون لشؤونِهم، والمتصرفون بأحوالِهم، لم يكونوا يعتقدون هذا، إنما كانوا يعبدونهم، ولذا لمَّا سمعَ هذه الآيةَ عدِيُّ بنُ حاتمٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قالَ: «**إنَّا لم نعبدْهُم يا**

رسولَ اللهِ، فقال الرسولُ ﷺ: «ألم يكونوا يُحِلُّونَ لكم الحرامَ فتُحلُّونَه، ويحرِّمُونَ عليكم الحلالَ فتُحرِّمُونَه» قال: بلى، قال: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»[١] من هنا يُعلَمُ أنَّ الرَّبَّ يُطلقُ في لسانِ الشرعِ، ويُرادُ به أيضًا الإلهَ المعبودَ.

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تتخذوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا﴾ أي: آلهةً معبودةً من دونِ اللهِ.

إذن: الربُّ في الشرعِ يُطلقُ ويُرادُ به الخالقَ الرازقَ وغيرَ ذلك من معاني الربوبيةِ، وهذا لم يكن فيه خلافٌ بين الأنبياءِ وبين أقوامِهم؛ فإنَّ أقوامَ الأنبياءِ كانوا مُقرِّينَ بهذا النوعِ غيرَ منكرين له، ولذا قالَ تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾، فكانوا يؤمنون أنَّ اللهُ هو الربُّ الخالقُ لكنهم كانوا يَعبدونَ معه غيرَه ولذا قالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾.

قوله: (فَإِذَا قِيْلَ لَكَ بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلِ بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ والنَّهْارُ والشَّمْسُ والقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ والأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيْهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا، والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ والأرض فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثم ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ...﴾ الآية)، والفرقُ بين الآياتِ والمخلوقاتِ

(١) أخرجه الترمذي، (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ)، باب (ومن سورة التوبة)، (٥/ ١٢٩)، رقم (٣٠٩٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٩٢)، رقم (٢١٨)، والبيهقي في السنن الكبرى، (١٠/ ١٩٨)، رقم (٢٠٣٥٠)، من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث.

أنَّ الآياتِ أخصُّ من المخلوقاتِ، وعلى ذلك فالمخلوقاتُ أعمُّ، ليسَ كُلُّ مخلوقٍ آيةً، لكنْ كُلُّ آيةٍ فهو مخلوقٌ، والمرادُ بالآياتِ هنا: الآياتُ المخلوقةُ لا الآياتُ المنزلةُ التي هي كلامُ اللهِ.

ومعنى ذلك أنَّ الآياتِ هي الدلائلُ البيِّنَاتُ الواضِحاتُ على أنَّ اللهَ هو الربُّ المعبودُ، هذه تُسَمَّى آيةً.

وأمَّا المخلوقُ فهو الذي خلقَه اللهُ فهو من هذه الجهةِ كالآيةِ، الآيةُ مخلوقةٌ وهذا مخلوقٌ، لكنَّ الآيةَ فيها دلالةٌ واضحةٌ بيِّنَةٌ، وعلامةٌ شاهدةٌ على أنَّ اللهَ هو الربُّ وأنه هو المعبودُ.

وهذا في الغالبِ يكونُ نِسْبِيًّا، أي بالنسبةِ إلى بعضِ الخلقِ.

أُوضِّحُ هذا بالمثالِ:

المؤلفُ هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكرَ من المخلوقاتِ السماءَ والأرضَ، والسماءُ والأرضُ من المخلوقاتِ، وهي في الحقيقةِ من الدلائلِ الواضحاتِ البيِّناتِ على أن اللهَ هو الربُّ المعبودُ لكن المكلَّفين يُصبحونَ ويُمسون والأرضُ أسفلُ منهم، والسماءُ فوقَهم فلا يُحسُّونَ بهاتين الآيتين العظيمتين، بخلافِ الشمسِ والقمرِ، فإنَّ الشمسَ تغيبُ والقمرَ يغيبُ فيظهرُ لهم من دلالتِه على خلقِ اللهِ للمخلوقاتِ ودلالتِه على ربوبيةِ اللهِ وأولوهيَّتِه ما لا يظهرُ لهم في السموات ولا في الأرض؛ لأنَّ الناسَ بسببِ كثرةِ مساسِهم بالأرضِ والسماءِ لا يشعرون بأنَّ الأرضَ والسماءَ آيتان كما يشعرون أنَّ الشمسَ والقمرَ آيتان.

إذن: كُلُّ مخلوقٍ يدلُّ دلالةً بينةً على أنَّ اللهَ هو الربُّ المعبودُ، لكن كما ذكرتُ لكم، الخلقُ نسبيًا قد يظهرُ لهم في بعضِ المخلوقاتِ من الدلالةِ ما لا يظهرُ لغيرِهم.

فالإبلُ مثلًا عندنا قد لا نتبصَّرُ بها ولا نعتبرُ بها، ولا يكونُ لها في نفوسِنا من الأثرِ كما يكونُ لأهلِها من أهلِ الباديةِ؛ ولذا قالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾، وهكذا أيضًا في مخلوقاتٍ أخرى، تجدُ أيضًا في النفسِ الإنسانيَّةِ من العجائبِ ما يدركُه الأطباءُ، ونحن قد لا ندركُه ولا نستشعرُه كما يستشعرُه هؤلاء.

قوله: (والرَّبُّ هو المعبودُ والدليلُ قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قالَ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ»[(١)])، الرُّبوبيَّةُ تستلزمُ الألوهيَّةَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾، فكما أنَّه ربٌّ، فيجبُ أن يكونَ هو المعبودَ دونَ ما سواهُ، فالربوبيَّةُ دليلُ الألوهيَّةِ، ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾، فما دامَ هو ربّكمُ، خالقَكُم ورازقَكُم، فما بالُكم تَصرِفُونَ العبادةَ إلى غيرِه؟!

فالخالقُ لهذه الأشياءِ الذي خلقَكم، وجعَلَ لكم الأرضَ فراشًا، وجعلَ لكم السماءَ بناءً، وأنزلَ لكم من السماءِ ماءً، وأنبتَ لكم به من الثمراتِ ما تُرزقونَ به؛ فهو المستحقُّ للعبادةِ وحدَه دون ما سواه.

إذن: هذه الأدلةُ وهذه الآياتُ البيِّناتُ الواضحاتُ في أنفسِنا، وفي السماءِ وفي الأرضِ وفي غيرِ ذلك، من خلقِه ما يدلُّ على أنه هو الربُّ المستحقُّ للعبادةِ وحدَه، لا شريكَ له.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣٠٤).

قوله: (وَأَنْوَاعُ العِبَادَةِ التِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ الإِسْلَامِ وَالإِيْمَانِ وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ الدُّعَاءُ والخَوْفُ والرَّجَاءُ والتَّوَكُّلُ والرَّغْبَةُ والرَّهْبَةُ وَالْخُشُوعُ وَالخَشْيَةُ والإِنَابَةُ والاسْتِعَانَةُ والاسْتِعَاذَةُ والاسْتِغَاثَةُ والذَّبْحُ والنَّذْرُ وغيرُ ذَلِكَ مِنَ العِبَادَةِ التي أَمَرَ اللهُ بها «كُلُّها للهِ» والدليلُ قَوْلُه تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، فَمَنْ صَرفَ مِنْهَا شَيْئًا لغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾)، **العبادةُ هي**: اسمٌ جامعٌ لما يُحبُّه اللهُ ويرضاهُ من الأقوالِ والأعمالِ الظاهرةِ والباطنةِ، كما عرَّفَها شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فالأقوالُ الظاهرةُ هي أقوالُ اللسانِ كذكرِ اللهِ وتلاوةِ القرآنِ والدعاءِ.

وأقوالُ القلبِ هي: اعتقادُه، كإقرارِه بربوبيةِ اللهِ، وأولوهيتِه وما يستحقُّه من الأسماءِ الحسنى والصفاتِ العُلى، وإيمانِه بالجنةِ، وإيمانه بالنارِ. هذا كلُّه قولُ القلبِ.

وأمَّا عملُ القلبِ كالتَّوكُّلِ والاستعانةِ والرغبةِ والرهبةِ ونحوِ ذلك من أعمالِ القلبِ وحركاتِه.

وأما أعمالُ الجوارحِ فكالصلاةِ والذبحِ ونحوِ ذلك من أعمالِ الجوارحِ.

فمَن صرفَ شيئًا منَ العباداتِ إلى غيرِ اللهِ، فهو مشركٌ كافرٌ والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

قوله: (وفي الحديث: «الدعاء مخُّ العبادة». والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠])، فالدعاءُ-دعاءُ المسألةِ- عبادةٌ، والعبادةُ كذلك دعاءُ مسألةٍ؛ لأنَّ الذي يعبدُ اللهَ يتضمنُ عبادتَه للهِ أنه يسألُه، أو يستلزمُ ذلك أنّه يسألُهُ، كأنّه يقولُ: يا ربِّ أنا صلّيتُ لكَ لتغفرَ لِي.

وفي سننِ الترمذيِّ، أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(١)، ولذا فإن من يذهب إلى ضريحٍ وفي نيَّتِه أنَّ صاحبَهُ منَ الأولياءِ-وجائزٌ أن يكونَ منَ الأولياءِ وجائزٌ ألّا يكونَ منهم؛ لأنَّ اللهَ هو الذي يعلمُ الأولياءَ-ويقولُ: يا شيخُ فلان! اشفعْ لي عندَ اللهِ، يا شيخُ فلان! امرأتِي عقيمٌ فارزقْنِي وإيَّاها طفلًا، هذا دعاءُ مسألةٍ، فيكون بهذا العمل قد عَبَدَ القبرَ؛ لأن دعاءَ المسألةِ: عبادةٌ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

إذًا مَن دعا أحدًا فقد عبدَه، ولكنَّ هذا له قيدٌ وهو: **أن يدعوَ غائبًا، ميتًا، لا يسمعُ كلامَه، في أمرٍ لا يقدرُ عليه.**

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب (الصلاة)، باب (الدعاء)، (٢/ ٧٦)، رقم (١٤٧٩)، والترمذي، (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ)، باب (ومن سورة البقرة)، (٥/ ٦١)، رقم (٢٩٦٩)، وابن ماجه، كتاب (الدعاء)، باب (فضل الدعاء)، (٢/ ١٢٥٨)، رقم (٣٨٢٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

❁ **إذًا فالدعاءُ الجائزُ هو الذي تتوفّرُ فيهِ هذه الشروطُ الأربعةُ:**

❍ **الشرطُ الأولُ**: أن يكونَ مَن يدعُوهُ حيًّا لا ميتًا.

❍ **الشرطُ الثاني**: أن يكونَ حاضرًا لا غائبًا.

❍ **الشرطُ الثالث**: أن يكونَ يسمعُ كلامَهُ.

❍ **الشرطُ الرَّابعُ**: أن يكونَ قادرًا على إعطائِهِ ما يسألُ.

وعلى هذا، لو ذهبَ رجلٌ فقيرٌ إلى غنيٍّ وقال: أيُّها الغنيُّ، هَبْ لي دارًا أسكنُها.فهذا الدعاءُ جائزٌ؛أو قالَ الفقيرُ: أيُّها الغنيُّ، أعطِنِي دراهمَ.فهذا دعاءٌ جائزٌ أيضًا.

لكنْ لو قال–أيِ الفقيرُ–: أيُّها الغنيُّ–أو قال: أيُّها الرجلُ– أدخِلْنِي الجنَّةَ. نقول: هذا أمرٌ لا يقدرُ عليه، وإن كان يسمعُ كلامَهُ، وإنْ كان حيًّا، وإن كان حاضرًا.

مثالُهُ أيضًا: رجلٌ ذهبَ إلى البحرِ وفي قريتِهِ شيخٌ يعظِّمونَهُ، وبينَه وبينَ هذا الشيخِ عشرةُ كيلو متراتٍ، فلمَّا رَكِبَ البحرَ أدرَكَهُ الغرقُ وقالَ: يا شيخُ أدرِكْنِي! أنقِذْنِي منَ الغرقِ!فهذا شِركٌ؛ لأنَّه لا يسمعُ كلامَهُ. لكنْ لو صوَّتَ لرجلٍ على الشاطئِ وقال: أيُّها الرجلُ–يسمعُه– أدرِكْنِي منَ الغرقِ؛ فهذا يجوزُ.

كذلك قولُ المرأة: وامعتصماهُ! تستغيثُ بالمعتصِمِ، هل هذا منهيٌّ عنه؟ نقول: لا؛ لأنَّها تعلمُ لمَّا كُشِفَتْ عورتُها، أنّ هناك مَن ينقُلُ الخبرَ إلى المعتصمِ لينقذَ المسلمينَ ممَّا هم فيه في بلدِها منَ الذُّلِّ.

حديث: «**الدُّعَاءُ مُخُّ العبادةِ**»(١)، هو من جهةِ المعنى صحيحٌ، ومن جهةِ السَّنَدِ ذِكرُ لفظِ«**مخ**»، هذه ضعيفةٌ، والحديثُ ثابتٌ بلفظِ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(٢) كما جاء هذا في مسندِ الإمامِ أحمدَ وغيرِهِ بإسنادٍ صحيحٍ.

قوله: (ودليل الخوفِ؛ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥])، فالذي يخافُ غيرَ اللهِ لاعتقادِهِ أنَّه يضرُّه، أو ينفعُهُ، وأنَّ الله أعطاه ذلك كرامةً له فقد أشركَ.

وهذا هو خوفُ الشِّركِ الأكبرِ، وهو ما يسمِّيهِ العلماءُ بخوفِ السِّرِّ: **وهو أنْ يخافَ غيرَ اللهِ أنْ يُلحِقَ به ضُرًّا، أو يمنعَهُ مِن نَفْعٍ؛ لاعتقادِهِ أنَّهُ يضرُّ وينفعُ، إمَّا استقلالًا، أو أنَّ اللهَ أكرَمَه بذلك.**

كما يعتقدُ أصحابُ الأضرحةِ بالأمواتِ؛ فإذا جاء أحدٌ يريدُ أن يُزيلَ تلك الأضرحةَ، هدَّدُوه وخوَّفوه، وقالوا: إنَّ اللهَ أكرمَ صاحبَ هذا الضَّريحِ، فاحذرْ أن يُلحقَ بك الضرَّ، أو أن يشلَّ يدَكَ، أو أن تَنزلَ عليك صاعقةٌ منَ السماءِ فيضرَّكَ هذا الميتُ، أو يَحُولَ بينَكَ وبين النَّفعِ.

فاعتقادُ أنَّ هذا الميتَ ينفعُ ويضرُّ، أو أنَّ اللهَ أكرَمَه بذلك، فهذا هو خوفُ السِّرِّ، أو خوفُ القلوبِ، وهو شِركٌ أكبرُ.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب (الدعوات)، باب (ما جاء في فضل الدعاء)، (٥/ ٣١٦)، رقم (٣٣٧١)، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٠/ ٣٣٦)، رقم (١٨٣٨٦)،وأبو داود، كتاب (الصلاة)، باب (الدعاء)، (٢/ ٧٦)، رقم (١٤٧٩)، والترمذي، (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ)، باب (ومن سورة البقرة)، (٥/ ٦١)، رقم (٢٩٦٩)، وابن ماجه، كتاب (الدعاء)، باب (فضل الدعاء)، (٢/ ١٢٥٨)، رقم (٣٨٢٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

۞ **وأمَّا ما سِوى ذلك؛ فليس منَ الشِّرك، ومنه:**

الخوفُ الطبيعيُّ، كما قالَ اللهُ عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:٢١]، قد تخافُ مِن سَبُعٍ، أو تخافُ من عدوٍّ، أو مِن لصٍّ، وهذا خوفٌ طبيعيٌّ، لا شيءَ فيهِ.

فإذن: الخوفُ الشِّرْكيُّ الذي يُخرجُ صاحبَه من الإسلامِ هو خوفُ السرِّ، وهو خوفُ القلوبِ.

قوله: (**وَدَلِيْلُ الرَّجَاءِ قَوْلُه تعالى**: ﴿فمن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾).

فالرجاءُ: هو الطمعُ بما عند اللهِ، هذا لا يُصرَفُ إلا إليه، فلو طمعَ أحدٌ بوليٍّ أن يُدخلَه الجنَّةَ، أو أن يشفِيَه من مرضٍ ونحوُ ذلك، ممَّا لا يُرجَى إلا من اللهِ، فهذا من الشِّرْكِ الأكبرِ.

قوله: (**ودليلُ التوكُّلِ قولُه تعالى**: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ **وقوله**: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾)، **التوكلُ**: هو تفويضُ الأمرِ إلى اللهِ؛ ثقةً به، وتوكُّلًا عليه وهو عبادةٌ لا تكونُ إلَّا للهِ فلا نفوِّضُ أمرَنا إلى غيرِه، فمَن فوَّضَ أمرَهُ إلى غيرِ اللهِ لاعتقادِهِ أنَّ هذا الذي فوَّضَ أمرَهُ إليه بيدِهِ نفعُه أو دفعُ الضُّرِّ عنه، فقد أشرك شركًا أكبرَ كما تقدَّمَ في الخوفِ.

وقد جاءَ في الحديثِ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَعُودُ بِطَانًا**»[١].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٣٢)، رقم (٢٠٥)، وابن ماجه، كتاب (الزهد)، باب =

قوله: (ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾، ودليلُ الخشيةِ قولُه تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾، ودليلُ الإنابةِ قولُه تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾)، **أمَّا الخشيةُ**: فهيَ الخوفُ منَ اللهِ الَّذي انبنَى على العِلمِ بِهِ كما قالَ اللهُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]، فهي الخوفُ منَ اللهِ عنْ علمٍ بِهِ سبحانَه وبأسمائِهِ، والرَّغبةُ بما في يديهِ سبحانَهُ، والرَّهبةُ ممَّا توعَّدَ به أعداءَهُ، والخشوعُ والتذلُّل بينَ يديهِ.

هذه كلُّها عباداتٌ تُصرَفُ للهِ.

قوله: (ودليلُ الاستعانةِ قولُه تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وفي الحديثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ[1]»، ودليلُ الاستعاذةِ قولُه تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ﴾، ودليلُ الاستغاثةِ قولُه تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾)، **وأمَّا الاستعانةُ**: فهي طلبُ العونِ منَ اللهِ، كمَا في قولِهِ تعالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، وعندما يذبحُ الرجلُ ذبيحتَه يقولُ: باسمِ اللهِ؛ يَعني أطلبُ العونَ وأستعينُ باللهِ ذاكرًا على هذه الذَّبيحةِ اسمَهُ.

= (التوكل واليقين)، (٢/ ١٣٩٤)، رقم (٤١٦٤)، والترمذي، أبواب (الزهد)، باب (في التوكل على الله)، (٤/ ١٥١)، رقم (٢٣٤٤)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(١) أخرجه الترمذي، (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ)، باب (٥٨)، (٤/ ٢٤٨)، رقم (٢٥١٦)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقال الترمذي: هذا حديث صحيح.

وأمَّا الاستعاذةُ: فهي الاعتصامُ باللهِ والالْتِجاءُ إليهِ مِن شرِّ كلِّ ذي شرٍّ، وهيَ كالدُّعاءِ، فإذا استعذتَ بحيٍّ حاضرٍ قادرٍ يسمعُ كلامَكَ، فليستِ استعاذةً شركيَّةً، فمَن يستعيذُ بالشُّرَطيِّ من اللِّصِّ، يقول: أعوذُ بكَ مِن هذا اللصِّ، أو يستعيذُ بالسُّلطانِ من رجلٍ يُؤذِيهِ، يَغصِبُ أرضَه ومالَه؛ فهذه الاستعاذةُ ليستْ شركيَّةً.

لكن لو تعوَّذَ بغيرِ اللهِ في أمرٍ لا يَقدِرُ عليه إلَّا اللهُ، أوِ استعاذَ بالأمواتِ، أو بالغائبينَ؛ فهذا يكونُ منَ الشركِ الأكبرِ كما تقدَّمَ.

وأما الاستغاثة: فهي طلبُ الغَوْثِ، وهي نوعٌ منَ الدعاءِ، لكنَّها تكونُ عند الشدائدِ؛ لأنَّ الدعاءَ يشملُ حالَ الشِّدةِ، وحالَ الرَّخاءِ، وأمَّا الاستغاثةُ فإنَّها تختصُّ بحالِ الشدَّةِ.

اعلم أن: لفظُ التوكُّلِ، ولفظُ الاستعاذةِ لا تكون إلا لله، فلا تقولُ يا فلانُ أعوذُ بك، ولا تقولُ يا فلانُ أتوكلُ عليك، ولا تقولُ أعوذُ باللهِ ثم بك، ولا تقول أتوكَّلُ على اللهِ ثم عليكَ، لفظُ التوكلِ ولفظُ الاستعاذةِ لا يكونُ إلا للهِ تعالى، فتقولُ أتوكَّلُ على اللهِ وحدَه، أستعيذُ باللهِ وحدَه، فلا تأتي بلفظِ الاستعاذةِ ولا بلفظِ التوكُّلِ إلا للهِ.

قوله: (ودليلُ الذبحِ قولُه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]، ومن السنة: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»[(١)])، **الذبحُ عبادة**؛ ولذا قال الله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، والنسكُ هو الذَّبحُ؛ فالذبحُ يجبُ

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب (الأضاحي)، باب (تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله)، (٣/ ١٥٦٧)، رقم (١٩٧٨)، من حديث عامر بن واثلة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

أن يكونَ للهِ، وقال تعالى:﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر:١-٢].

والدَّليلُ مِنَ السُّنةِ على وجوبِ ذلك، ما جاءَ في صحيحِ مسلمٍ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**»(١).

والذبحُ يكونُ شِركًا باللهِ إن كان على وجهِ التقرُّبِ؛ فيتقرَّبُ للوليِّ، أو يتقرب للجِنِّيِّ، فمثلاً يأمرُه الكاهنُ أو الساحرُ أن يذبحَ للجِنِّيِّ، أو أن يذبحَ للولي تقرُّبًا إليه، وهذا هو العبادةُ لغيرِ اللهِ.

ومنه الذبحُ لطلعةِ السلطانِ، وقد كانَ هذا موجودًا في بعضِ البلادِ قديمًا، وقد يوجدُ في بعضِ البلادِ في هذا العصرِ؛ فإذا أَتَى السلطانُ ودخلَ القريةَ، إذا بهم قد صفوا عن يمينِ الدَّربِ وعن يسارِهِ ومعهم الإبلُ والأبقارُ، وكلمَّا مرَّ ذبحوا، لا يقصدونَ إكرامَهُ بأكلِ لحمِها، وإنما يقصدونَ إكرامَهُ بالذَّبحِ نفسِهِ والتقرُّبِ إليه بنفسِ الذَّبحِ، فكلَّما مرَّ ودخل حيًّا، إذا بهم قد هيَّئُوا تلك الذبائحَ لطَلْعَتِهِ، وقد نصَّ العلماءُ على أنَّ الذبحَ لطلعةِ السلطانِ شركٌ أكبرُ.

وأمَّا الذبحُ لإكرامِ السلطانِ إذا جاءَ لبلد، حيث تُذبحُ الذبائحُ؛ إكرامًا له، ووليمةً لمجيئِهِ، فهذا لا حرجَ فيهِ، بل هو منَ الكَرَمِ، وإن كانَ فيه إسرافٌ يُنهى عنه، فلو ذبحوا ألفًا منَ الغنمِ، أو ألفًا من الإبلِ لكن وضعوها في الأوانِي بين يديْهِ ليأكلَها ومَن معه من حاشيتِهِ وأهلِ البلدِ، فهذا بابٌ آخَرُ، وليس من الشركِ، لكنَّهم إذا قصَدُوا التقرُّبَ إليه بنفسِ الذبحِ، كانَ هذا مِنَ الشِّركِ.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب (الأضاحي)، باب (تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله)، (٣/ ١٥٦٧)، رقم (١٩٧٨)، من حديث عامر بن واثلة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

❁ **وأمَّا الذبحُ لإكرامِه، أو لإكرامِ الضيفِ؛ فإنَّ ذلك منه ما هو محمودٌ ومنه ما هو مذمومٌ:**

- **فإن كان فيه إسرافٌ**، أو كان يُقصَدُ منه الخُيَلاءُ، فهو مذمومٌ.
- وإن كان المقصدُ من ذلك إكرامَ الضَّيفِ لا على وجهِ الخيلاءِ ولا على وجهِ الإسرافِ، فإنَّ هذا أمرٌ محمودٌ يحبُّه اللهُ.

وقد يذكر صاحبُ الذَّبيحةِ اسمَ غيرِ اللهِ عند ذبحِها؛ كأن يقولَ عند الذَّبحِ: باسمِ المسيحِ مثلًا، أو يقول: باسمِ الجنِّ الفلانيِّ، أو الوليِّ الفلانيِّ، وقد يقول: باسمِ اللهِ، وهو ينوِي بقلبِهِ التقرُّبَ لغيرِ اللهِ؛ فهذا شركٌ أكبرُ.

قوله: (وَدَلِيْلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾)، وأمَّا النَّذرُ لغيرِ اللهِ؛ كأنْ يقولَ: نذرٌ عليَّ للشيخِ فلانٍ أو الوليِّ فلانٍ إنْ شُفِيَ مريضِي، أو ولدتِ امرأتِي، أو نجحَ وَلَدِي أن أضعَ في ضريحِهِ كذا وكذا منَ الدَّراهمِ، وكذا وكذا من الطعامِ،فذلك شركٌ أكبرُ؛ لأنَّ النَّذْرَ عبادةٌ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة:٢٧٠].

وفي الحديثِ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ، فَلْيُطِعْهُ**»(١) فالنذرُ عبادةٌ، فصرفُ هذه العبادةِ إلى غيرِ اللهِ شِركٌ أكبرُ.

إذًا عندنا قاعدةٌ: "أنَّ العباداتِ كلَّها لا تُصرَفُ إلَّا للهِ"، فصرفُ هذه العباداتِ للهِ توحيدٌ، وصرفُها لغيرِ اللهِ شركٌ، وقد كانَ المشركون الذين بُعِثَ فيهمُ النبيُّ يصرفونَ إلى اللهِ أنواعًا منَ العباداتِ، لكنَّهم كانوا يصرفون أنواعًا أخرى من

---

(١)أخرجه البخاري، كتاب (الأيمان والنذور)، باب (النذر في الطاعة)، (٨/ ١٤٢)، رقم (٦٦٩٦).

العباداتِ إلى غيرِه سبحانَه.

ولذا، كانوا في مكةَ عندَ الكعبةِ التي هي بيتُ اللهِ، وهم يعلمونَ أنَّ هذا بيتُ اللهِ، وكانوا يَدينُونَ للهَ بشيءٍ من دينِ إبراهيمَ الخليلِ إمامِ الحنفاءِ، ولكنَّهم ضموا إلى ذلك أنواعًا منَ الشركِ باللهِ؛ فقد يكونُ الرجلُ يصومُ ويصلِّي ولكنَّه يطلبُ غيرَ اللهِ ويُشرِكُ باللهِ، فإذَا أصابَتْه ملمَّةٌ لجأَ إلى غيرِ اللهِ، وفوَّضَ أمرَه إلى غيرِ اللهِ، وسألَ غيرَه، وهذا شركٌ باللهِ.

ممَّا تقدَّمَ تقريرُه بالقيودِ السابقةِ، يجبُ على المسلمِ ألَّا يدعوَ الأمواتَ من دونِ اللهِ، أو يدعو غائِبينَ لا يسمعونَ كلامَه، في الأمرِ الذي لا يقدرُ عليه إلَّا اللهُ.

قوله: (الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِيْنِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ وَهُوَ: الاسْتِسْلَامُ للهِ بِالتَّوْحِيْدِ، والانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، والبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وأَهْلِهِ، وهو ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلَامُ، وَالإِيْمَانُ، وَالإِحْسَانُ، وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ)، فذكرَ الشيخُ هنا أنَّ الأصلَ الثانيَ وهو معرفةُ دينِ الإسلامِ الذي بَعَثَ اللهُ به نبيَّهُ محمّدًا ﷺ خاتمًا للأديانِ ولا يقبلُ اللهُ من العبادِ سواه قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِنـدَ الله الإسلام﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾.

ومن هنا يُعلمُ أنَّ الأديانَ الأخرى منسوخةٌ، فالتعبدُ بها غيرُ مقبولٍ، وهذا بإجماعِ أهلِ العلمِ، ومن اعتقدَ خلافَ هذا أو صحَّحَ أديانَ اليهودِ أو النصارىِ فإنه قد أتى ناقضًا من نواقض الإسلام؛ فالله لا يقبلُ من عبادِه إلا الإسلامَ، وقد قالَ ﷺ كما في صحيحِ مسلمٍ: «**والذي نفسي بيدِه لا يسمعُ بي يهوديٌّ ولا نصرانِيٌّ ثُمَّ لا يُؤمن بالذي أُرْسِلْتُ به إلا أَدْخَلَهُ اللهُ النارَ**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب (الإيمان)، باب (وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام)، (١/ =

قوله: **(بِالأَدِلَّةِ)**، كما تقدَّمَ، لا بد من أن تكونَ هذه المعرفةُ بالأدلةِ؛ فإنَّ التقليدَ في مثلِ هذه المسائلِ لا يُقبلُ، ويكفي أن يسمعَها العاميُّ ولو مرةً واحدةً، وإن لم يحفظْها، وإن لم يستحضرْها، فيكفي أن يسمعَ هذه الأدلةَ، وأن يعلمَ أنَّهُ على علمٍ ومعرفةٍ مبنيَّةٍ على الأدلةِ، قد أجابَ المرسلين، فإنَّ اللهَ يسألُ الناسَ يومَ القيامةِ: ﴿مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾، فلا بدَّ وأن يكونَ قد عرفَ الإسلامَ بالأدلةِ.

ثم عرَّفَه الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقولِه: **(وَهُوَ: الاسْتِسْلَامُ للهِ بِالتَّوْحِيْدِ، والانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، والبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ)**، فيستسلمُ للهِ بربوبيَّتِه وألوهيَّتِه وأسمائِه وصفاتِه، كما يستسلمُ الضعيفُ للقويِّ الذي وضعَ السلاحَ على رأسِه وقال اذهبْ إلى هنا واذهبْ إلى هنا، يكونُ قد استسلمَ استسلامًا تامًّا، فيستسلمُ العبدُ لربِّه بالتوحيدِ، وينقادُ للهِ بطاعتِه بإقامةِ الصلواتِ المكتوبةَ، وأداءِ الزكاةِ، وصومِ رمضانَ، وحجِّ البيتِ، وغيرِ ذلك من فرائضِ الدينِ.

قوله: **(والبراءةُ من الشركِ وأهلِه)**، فلا بدَّ أيضًا مع استسلامِه للهِ بالتوحيدِ وانقيادِه له بالطاعةِ أن يتبرأَ من الشركِ وأهلِه؛ فإنَّ البراءةَ من الشركِ والمشركين أصلٌ من أصولِ هذا الدينِ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾، فلا بدَّ أن يتبرأَ المؤمنُ من المشركين، ومن دينِهم. لا يصحُّ إسلامُ العبدِ حتى يوحِّدَ اللهَ، وينقادَ له بالطاعةِ، ويتبرأَ من المشركين، ويتبرأَ من أديانِهم، وعلى ذلك فالذي لا يتبرأُ من أديانِ المشركين ولا يتبرأُ منهم، ويصحِّحُ أديانَهم، فإنَّه لا حظَّ له في الإسلامِ كما تقدَّمَ تقريرُه.

وذكرنا لكم أنَّ التَّوَلِّيَ الذي يُخْرِجُ العَبْدَ من الإسلامِ هو أن يحبَّ المشركينَ لدينِهم يقولُ: أنا أُحِبُّ النصارى؛ لأنهم أهلُ دينٍ سماويٍّ؛ لهذا يحبُّ أديانَهم يحبُّ

=

١٣٤)، رقم (١٥٣).

عباداتِهم، أو كذلك يُظاهِرُهم على المسلمين لتكونَ كلمةُ الكفرِ هي العليا فيقِفُ صفًّا معهم؛ لتكونَ كلمتُهم هي العليا، وليكونَ لهم الظهورُ والعُلُوُّ في الأرضِ فتقدَّمَ بيانُ هذا، وإن هذا من الكفرِ الأكبرِ.

قوله: (وهو ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلَامُ، وَالإِيْمَانُ، وَالإِحْسَانُ، وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ)، كما جاءَ هذا في حديثِ جبريلَ في الصحيحين. فالإسلامُ ثلاثُ مراتِبَ مرتبةُ الإسلامِ، وأعلى منها مرتبةُ الإيمانِ، وأعلى منها مرتبةُ الإحسانِ.

قوله: (فَأَرْكَانُ الإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وإيتاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ. فَدَلِيْلُ الشَّهَادَةِ قَوْلُه تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨]، وَمَعْنَاهَا لا مَعْبُودُ بِحقٍّ إلا اللهُ)، هذا هو معنى لا إلهَ إلا اللهُ: لا معبودَ بحقٍّ إلا اللهُ.

(إله): فِعالٌ بمعنى مفعولٍ أي لا معبودَ حقٍّ إلا اللهُ هذا هو معنى لا إلهَ إلا اللهُ.

فمعنى لا إلهَ إلا اللهُ: أي لا معبودَ حقٍّ إلا اللهُ، أي لا تُصرفُ العباداتُ إلا له، وأمَّا ما ذكَرَهُ المتكلِّمونَ من الأشاعرةِ وغيرِهم من أنَّ معنى: (لا إلهُ إلا اللهُ)، أي لا قادرَ على الاختراعِ إلا اللهُ، فهذا باطلٌ، فاللهُ هو القادرُ وحدَه على الاختراعِ والخلقِ والايجادِ، لكن ليس هذا هو معنى لا إلهَ إلا اللهُ؛ ولذا فإنَّ المشركين كانوا يُقِرُّونَ أنَّ القادِرَ على الاختراعِ هُوَ اللهُ تعالى وحدَه، ولم يكونوا يقولونَ لا إلهَ إلا اللهُ، بل كانوا يأبَون أن يقولوا: لا إلهَ إلا اللهُ؛ لأنَّ معنى «لا إلهَ إلا اللهُ» أي لا تَعبدْ إلا اللهَ، لا تُوجِّهِ العبادةَ إلا إليه، ولذا قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ ﴾ [ص: ٥].

قوله: («**لا إِلَهَ**»: **نَافِيًا جَمِيْعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله** ، «**إِلَّا اللهُ**»: **مُثْبِتًا العِبَادَةَ للهِ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَهُ فِي عِبَادَتِه كَمَا أَنَّه لَيْسَ لَهُ شَرِيْكٌ فِي مُلْكِه**)، فجمعت بينَ النفيِ والإثباتِ، فـ«لا إلهَ»: نفيٌ، و«إلا اللهُ»: إثباتٌ.

«لا إلهَ»: تنفي العبادةَ لغيرِ اللهِ، و«إلاَّ اللهُ»: يحصرُها له، وهذا هو معنى قولِه تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٦٥].

﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾، أي يقولُ: لا إلهَ.

﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾، يقولُ إلا اللهُ، هذا هو معنى لا إلهَ إلا اللهُ، الكفرُ بالطاغوتِ والإيمانُ باللهِ، ولذا فإنه لا بدَّ -كما تقدَّمَ- من البراءةِ من الشركِ وأهلِه.

وعلى ذلك: فالذي يقولُ: أنا آمنتُ باللهِ. لكنَّه لا يكفرُ بالطاغوتِ، لا يكونُ قدِ استمسكَ بالعروةِ الوُثقَى، فلا بدَّ أن يكفرَ بالطاغوتِ ويؤمنَ باللهِ، كما جاءَ في صحيحِ مسلمٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ؛ حَرُمَ دَمُهُ وَمَالُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**»(١).

إذًا لا بدَّ أنْ يكفرَ بما يعبدُ من دونِ اللهِ؛ فلوْ قالَ رجلٌ: أنا أُصلِّي وأصومُ وأعبدُ اللهَ ولا أذهبُ لهذه الأضرحةِ، لا أذهبُ لضريحِ الشيخِ فلانٍ ولا أدعو الأمواتَ من دونِ اللهِ، ولا دخلَ لي بهؤلاءِ، وما أدري عنهم ولا عن دينِهم، ولا أكفرُ بهذه الأضرحةِ، أنا لا أعملُ كعملِهم لكنِّي لا أتبرأُ مِن فِعلِهم، فهذا لا يَكفِيه؛ إذْ لا بدَّ أنْ يتبرَّأَ مِنَ الشركِ وأهلِهِ؛ ولذا قالَ إبراهيمُ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا

(١) صحيح مسلم، كتاب (الإيمان)، باب (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله)، (١/ ٥٣)، رقم (٢٣).

تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾، [الزخرف:٢٦-٢٧]، فالرجلُ لا يكونُ موحِّدًا حقًّا حتَّى يتبرأَّ مِنَ الشركِ وأهلِهِ، فيضمُّ إلى عبادةِ اللهِ تبرُّؤَهُ مِنَ الشركِ والمشركينَ.

قوله: (وَتَفْسِيْرُهَا الذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُه تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الزُّخرُف:٢٦-٢٨])، ﴿بَرَآءٌ﴾: أيْ متبرِّئٌ من تلك المعبوداتِ التي تعبدونَها من دونِ اللهِ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، وهو اللهُ، وهذا يدلُّ على أنَّ قومَ إبراهيمَ كانُوا يعبدونَ الله لكن يعبدونَ معه غيرَهُ؛ ولذا استثنَى ربَّهُ وإلهَهُ، يَعني إنَّني براءٌ من جميعِ المعبوداتِ التي يعبدُهَا قومِي إلَّا اللهَ، وأتبرأُّ ممَّا يُشرِكونَ به.

قال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ﴾، هذه الكلمة -وهي كلمةُ التوحيدِ- جعَلَها باقيةً في عقِبه، يَعني في ذُرِّيَّتِه لعلَّهم يَرجعونَ، ولا يزالُ في ذريّةِ إبراهيمَ العلمُ ولا يزالُ فيهمُ التوحيدُ، وكان الأنبياءُ من ذرِّيتِه إلى نبيِّنا محمدٍ الذي هو خاتَمُ النبيِّينَ.

قوله: (وقولُه تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾)، والأربابُ هنا كما تقدَّمَ أي: (آلهةٌ)، فدلَّ هذا على أن صرفَ شيءٍ منَ العبادةِ إلى الأنبياءِ والأولياءِ أنَّهُ شركٌ أكبرُ، وأنَّ من فعلَ ذلك فقد اتخذَهم أربابًا من دونِ اللهِ.

قوله: (**وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ اللهِ، قولُه تعالى:** ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾)، ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ **أي**: من جنسِكم فهو من بني آدمَ، وهو عربيٌ منكم يتكلمُ بلغتِكم يا معشرَ العربِ فهو من جنسِكم، ليس بملَكٍ لا تأنسونَ به، وليس أيضًا بأعجميٍّ لا تفهمون لغتَه.

وقُرِئت: (**أنفَسِكم**)[١] **أي**: إنه من أشرفِكم وأعلاكم قَدْرًا، وهو كذلك ﷺ فهو أشرفُ الخلقِ ﷺ.

وهذا أيضًا سببٌ في قبولِ دعوتِه، فإنَّ الناسَ يُذعنونَ لأشرافِهم ولكبرائِهم ما لا يُذعنونَ لمن هم دونَهم.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: أي يَشُقُّ عليه ما يلحقُكم من حرجٍ، يثقُلُ عليه ﷺ أن يلحقَكم حَرَجٌ في دينكِم فهو ﷺ حريصٌ على التخفيفِ والتيسيرِ على هذه الأمةِ ﷺ، ورفعِ الحرجِ عنها ومن هنا يُعلمُ أنه ليس في تشريعاتِه ﷺ حرجٌ ولا عسرٌ.

قوله: (**وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيْقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهى وَزَجَرَ، وأنْ لا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ**)، هذا هو مقتضى شهادةِ أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، **مقتضاها:** أن تُطيعَه فيما أمرَكَ، وأن تجتنبَ ما نهاك عنه، وأن تُصدِّقَه بما أخبرَك به، وألَّا تعبُدَ اللهَ إلا بما شرَعَه، فتُطيعُه فيما أمرَ كالتوحيدِ والصلاةِ، وتجتنبُ ما نهى عنه وزجرَ كالشركِ، وعقوقِ الوالدين، وقطيعةِ الرحمِ، وغيرِ ذلك من المعاصي، وتُصَدِّقُه فيما أخبركَ به ﷺ وتعلمُ أنه هو

---

(١) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (٥/ ٥٣٣)، المحتسب، لابن جني (١/ ٣٠٦).

الصادقُ المصدوقُ، وأيضًا تعبدُ اللهَ تعالى بما شَرَعَه، فلا تتجاوزُ ذلك: «**اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا، فَقَدْ كُفِيتُمْ**»(١) فلا تتعبدْ للهِ عَزَّوَجَلَّ بما يستحسنُه عقلُك وهواك أو عقولُ غيرِك وأهواؤُهم، وإنما تعبدُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ بما شرعَه اللهُ تعالى في كتابِه أو على لسانِ رسولِه ﷺ.

قوله: (وَدَلِيْلُ الصَّلاةِ والزَّكَاةِ وَتفْسِيرُ التَّوْحِيْدِ قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾، وَدَلِيْلُ الصِّيَامِ قَوْلُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ على الذين قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾، وَدَلِيْلُ الحَجِّ قولُه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾)، فهذه هي أركانُ الإسلامِ، والركنُ هو جانبُ الشيءِ الأقوى منه، ليس خارجًا عنه بل هو جزءٌ منه، فهذه هي أركانُ الإسلامِ.

ولا يَكفُر على الصحيحِ من قولَيْ العُلماءِ بتركِ شيءٍ من هذه الأركانِ إلا الصلاةَ، وقد ذهبَ بعضُ السلفِ إلى تكفيرِ تاركِ الزكاةِ، وذهبَ بعضُهم إلى تكفيرِ تاركِ الحجِّ.

والصوابُ: أنه لا يُكفرُ إلا بتركِ الصلاةِ وتركِ شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، واللهُ أعلمُ.

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٢٨٨)، رقم (٢١١)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٥٤)، رقم (٨٧٧٠)، وقال الداراني في تحقيق سنن الدارمي: في اسناده علتان: الأولى: تدليس حبيب بن أبي ثابت وقد عنعن والثانية: قول شعبة: «لم يسمع أبو عبد الرحمن: عبد الله بن حبيب من عبد الله بن مسعود». ولكن قال الإمام أحمد: «في قول شعبة: لم يسمع من ابن مسعود شيئا أراه وهما».

قوله: (الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الْإِيمَانُ وَهُو: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)(١)، **والإيمانُ:** هو عقيدةٌ فِي الجَنانِ، ونُطقٌ باللسانِ، وعملٌ بالجوارحِ والأركانِ، يَزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالعصيانِ.

أولًا: القلب له قول وعمل:

۞ واعلَم أن الْقَلبُ له قولٌ وعمل:

فقولُ القلبِ: هو إقرارُه واعترافُه.

وعملُ القلبِ: هو حركتُهُ بعقائدِ الإيمانِ؛ مِن توكُّلٍ وخوفٍ ورجاءٍ، فهذه كلُّها أعمالُ قلوبٍ؛ فالتوكلُ من أعمالِ القلوبِ، والخوفُ من أعمالِ القلوبِ، والرجاءُ من أعمالِ القلوبِ، واستعانتُه وغيرُ ذلك ممَّا هو من حركةِ القلبِ التي تنبعثُ عن عقائدِ الإيمانِ.

ثَانِيًا: القولُ باللسانِ من أجزاءِ الإيمانِ، فلا يكفِي أن يُقِرَّ العبدُ بقلبِهِ وأن يتوكَّلَ على اللهِ وأن يخافَ منه حتى ينطقَ بلسانِهِ الشهادتَيْنِ؛ شهادةِ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمدًا رسول الله، ولا يصحُّ إيمانُه إلّا بنُطقِها.

وهناك أيضًا أقوالٌ هي من الإيمانِ؛ كتلاوةِ القرآنِ، وذكرِ اللهِ، هذه كلُّها من أقوالِ اللسانِ التي هي منَ الإيمانِ؛ فأعلاها قولُ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأدناها الكلمةُ الطيِّبةُ تقولُها فينشرحُ بها صدرُ أخِيكَ المسلمِ ويَأنَسُ بها.

ثَالِثًا: وكذلك الجوارحُ لها أعمالٌ هي منَ الإيمانِ؛ كالصلاةِ، قال الله: ﴿وَمَا

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب (الإيمان)، باب (شعب الإيمان)، (١/ ٦٣)، رقم (٥٧).

كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ [البقرة:١٤٣]، يَعني صلاتَكم كما قال المفسِّرون(١)؛ لأنَّ الناسَ تكلَّمُوا في حالِ مَن صلَّى إلى بيتِ المقدسِ فقُبِضَ قبل أن تتحوَّلَ القلبةُ، ما حالُهُ وما حالُ صلاتِهِ؟ فقال الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾؛ أيْ صلاتُكم إلى بيتِ المقدسِ السابقةُ هذه، لا يُضيعُها اللهُ؛ لأنّكم كنتم مأمورِينَ بها، وكنتم مُمْتَثِلِينَ لشرعِ اللهِ فيها.

كذلك الزكاةُ إيمانٌ، والصدقةُ إيمانٌ، فهو –أي الإيمانُ– كما جاء في الحديثِ: «**بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»(٢).

رَابِعًا: والإيمانُ كذلك يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ، قالَ تعالَى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ [المدثر: ٣١]، وقالَ تعالَى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢]، وفي الحديثِ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا**»(٣).

وذكرَ الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ له شُعَبًا، فالإيمانُ له شُعَبٌ كما أن الكفرَ له شُعَبٌ، وعلى ذلك فالمسلمُ قد يكونُ فيه شيءٌ من شُعَبِ الكُفرِ – أي الكُفْرِ الأصغرِ – ويكونُ فيه شُعَبٌ من شُعَبِ الإيمانِ، فيكونُ عندَه حياءٌ مثلًا والحياءُ من الإيمانِ،

(١) ينظر: تفسير الطبري (٣/ ١٦٧)، الهداية، لمكي (١/ ٤٨٤)، تفسير البغوي (١/ ١٧٧)، تفسير القرطبي (٢/ ١٥٨).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب (الإيمان)، باب (شعب الإيمان)، (١/ ٦٣)، رقم (٥٧).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب (السنة)، باب (الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه)، (٧/ ٧٠)، رقم (٤٦٨٢)، والترمذي، أبواب (الرضاع)، باب (ما جاء في حق المرأة على زوجها)، (٣/ ٤٥٨)، رقم (١١٦٢)، وأحمد في مسنده (١٢/ ٣٦٤)، رقم (٧٤٠٢).

ويكونُ عنده صدقٌ والصدقُ من الإيمانِ، وقد يكونُ عنده طعنٌ في الأنسابِ، والطعنُ في الأنسابِ من شُعَبِ الكفرِ، كذلك أيضًا قتلُ المسلمِ هذا من الكفرِ الأصغرِ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(١) أي من الكفرِ الأصغرِ.

والمسلمُ بقدرِ ما يكونُ عندَه من شُعبِ الإيمانِ يُوالَى، وبقدرِ ما يكونُ عندَه من شُعَبِ الكُفر يُعادَى، وعلى ذلك فيكونُ الإنسانُ يُعادَى من جهةِ أفعالِه المخالفةِ للشرعِ، ويُوالى ويحبُّ ويُناصرُ من جهةِ أعمالِه التي يُوافِقُ فيها الشرعَ.

فإنَّ المسلِمَ أخٌ للمسلمِ، فلوكانَ المسلمُ من أهلِ الفسوقِ ومن أهلِ الكبائرِ فإنَّ له ولايةً؛ لأنه مسلمٌ عنده أصلُ الإسلامِ، والمسلمُ أخو المسلمِ لا يخذلُه ولا يُسلمُه فبقدْرِ ما يكونُ عنده إيمانٌ تكونُ محبتُه ونصرتُه، وبقدرِ ما يكونُ عنده من فسوقٍ وكبائرَ يكونُ بُغضُه.

واعلم أن الفرق بين الإسلام والإيمان: من المسائل التي أطال العلماء في بيانها في كتب العقائد، وحاصل ما يقررونه في هذا: أنه إذا ورد أحد هذين اللفظين مفردًا عن الآخر فالمقصود به دين الإسلام كله، ولا فرق حينئذ بين الإسلام والإيمان.

وأما إذا ورد هذان اللفظان معًا في سياقٍ واحدٍ، **فالإيمان يراد به**: الأعمال الباطنة، وهي أعمال القلوب كالإيمان بالله تعالى، وحبه وخوفه ورجائه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ والإخلاص له.

وأمَّا الإسلام: فيراد به الأعمال الظاهرة التي قد يصحبها الإيمان القلبي، وقد لا يصحبها فيكون صاحبها منافقًا أو مسلمًا ضعيف الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب (الإيمان)، باب (خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر)، (١/ ١٩)، رقم (٤٨). مسلم كتاب (الإيمان)، باب (بيان قول النبي ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»)، (١/ ٨١)، رقم (٦٤).

قوله: (وَأَرْكَانُه سِتَّةٌ: أَنْ تُؤمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، والدَّلِيْلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ قَوْلُه تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾) [البقرة:١٧٧].

وَدَلِيل القدر؛ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

والإيمانُ له أركانٌ:

- **الركنُ الأولُ:** الإيمانُ باللهِ.
- **الركنُ الثاني:** الإيمانُ بالملائكةِ.
- **الركنُ الثالثُ:** الإيمانُ بالكتبِ.
- **الركنُ الرابعُ:** الإيمانُ بالرسلِ.
- **الركنُ الخامسُ:** الإيمانُ باليومِ الآخِرِ.
- **الركنُ السادسُ:** الإيمانُ بالقَدَرِ؛ خيرِه وشرِّه.

أمَّا الإيمانُ باللهِ: فهو أن تؤمنَ بوجودِهِ، تؤمن بربوبيَّتِه، وألوهيَّتِه، وأسمائِهِ وصفاتِهِ؛ **لأنَّ التوحيدَ على ثلاثةِ أنواعٍ: توحيدِ الربوبيَّةِ، وتوحيدِ الألوهيَّةِ، وتوحيدِ الأسماءِ والصِّفاتِ.**

وقد جاءتْ هذه الأنواعُ في الكتابِ والسُّنةِ، أُخذتْ بالاستقراءِ وكذلك أيضًا بالنصِّ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، هذه هي الربوبيَّةُ، ﴿فَاعْبُدْهُ﴾، هذه هي العبادةُ، توحيدُ الألوهيَّةِ، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، وهذا هو توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ، فجاءتْ أنواعُ التوحيدِ الثلاثةُ مجموعةً في

هذه الآيةِ الكريمةِ.

❁ **فتوحيدُ الربوبيَّة:** إيمانُكَ بأنَّ اللهَ هو ربُّكَ وخالِقُكَ، وأنَّه هو الذي يرزقُكَ ويرزقُ الخلقَ أجمعينَ، ويُحييكَ ويُميتُكَ، ويُدبِّرُ أمورَكَ وشؤونَكَ، وهو كذلك لجميعِ الخلقِ؛ فهو الذي يتولَّى أمورَهُم ويُدبِّرُ شؤونَهم، وهو الذي يرزقُهم ويُحييهِم ويُميتُهم، وهو الذي خلَقَهم.

وهذا النوعُ من التوحيدِ وهو توحيدُ الربوبيَّةِ، يُقِرُّ به الخلقُ كلهم حتى المشركونَ الذين بُعثَ إليهم الرسولُ.

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]، حتى فرعونُ جَحَدَهُ واستيقَنَهُ قلبُهُ، ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]، إلَّا ما عُرفَ في الأزمنةِ المتأخِّرةِ عن المُلحِدِينَ الشيوعِيِّين؛ فإنَّهم يُنكرونَ الربوبيَّةَ من أجلِ أن يفعلوا ما شاؤوا، لا يَحجُبُه إيمانٌ ولا يمنعُه دينٌ، وكانوا يقولون:(**الدينُ هو أفيونُ الشعوبِ!!**)، يريدون أن يفعلوا ما شاؤوا فلا يمنعُهُم دينٌ، وإلَّا فإنَّ الأُمَّةَ كلَّها تؤمنُ بهذا، حتى هم فقد آلَ أمرُهم الآنَ إلى الرجوعِ إلى الأديانِ. وهذا النوعُ لا يَكفي في دخولِ العبدِ إلى الإسلامِ؛ لأنَّ أبا جهلٍ كان يُقِرُّ بهِ.

❁ **توحيدُ الألوهيَّةِ:** الذي تقدَّمَ شرحُهُ، وهو إفرادُ العبدِ ربَّهُ بالعبادةِ، لا يُشركُ به شيئًا، وهذا هو الذي حصلتْ به الخصومةُ بين الأنبياءِ وأقوامِهِم.

❁ **توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ:** فهو أن يؤمنَ العبدُ بما وصفَ اللهُ به نفسَهُ، أو وَصَفَه به رسولُهُ في كتابِه، أو في سُنَّةِ نبيِّهِ، يؤمنُ بذلك على جهةِ الحقيقةِ لا على جهةِ المجازِ، ولا يُشبِّهُ اللهَ بخَلْقِه؛ فـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾

[الشورى: ١١].

۞ **وأمَّا الإيمانُ بالملائكةِ؛** فنؤمنُ بما جاءَ من أسمائِهم كجبريلَ، ونؤمنُ بأنَّ لهم وظائفَ وأنهم يُطيعونَ اللهَ ولا يَعصُونَه، وأنهم خُلِقوا من نورٍ كما جاء هذا في صحيحِ مسلمٍ(١).

۞ **أمَّا الإيمانُ بالرسلِ:** فنؤمنُ بأنَّ اللهَ ما تركَ أُمَّةً إلَّا وبعثَ لها رسولًا: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وأنَّ الرسل أعدادُهم -كما جاءَ في مسندِ الإمامِ أحمدَ(٢)- كعددِ أهلِ بدرٍ، ثلاثُمائةٍ وبضعةَ عشرَ، وأمَّا الأنبياءُ فعددُهم كثيرٌ، يبلغُ مائةً وأربعةً وعشرينَ ألفًا، كعددِ الصَّحابةِ.

فإنْ قيلَ: ما الفرقُ بينَ الرسولِ وبين النبيِّ؟

- **فالجوابُ: أنَّ الرسولَ** أُرسِلَ إلى قومٍ مخالِفينَ، يَعني إلى قومٍ مشركينَ يُدعوهُم إلى توحيدِ اللهِ، هذا هو الرسولُ، وقد تكونُ له شريعةٌ كموسى، وقد تكون شريعتُهُ هي شريعةَ مَن قبلَه كيوسفَ، فيوسفُ رسولٌ؛ لأنَّه أُرسلَ إلى فرعونَ وقد كان فرعونُ مخالفًا مُشرِكًا.

ولذا، جاءَ في القرآنِ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ [غافر: ٣٤]، فيوسفُ رسولٌ، لكنَّ شريعتَه هي شريعةُ جدِّه إمامِ الحنفاءِ إبراهيمَ عليهِ وعلى يوسفَ وعلى رسولنا محمد صلاةُ اللهِ وسلامُهُ، إذًا يوسفُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رسولٌ لكنَّ

(١) أخرجه مسلم، كتاب (الزهد والرقائق)، باب (في أحاديث متفرقة)، (٤/ ٢٢٩٤)، رقم (٢٩٩٦).

(٢) ينظر: مسند أحمد، (٣٥/ ٤٣١)، رقم (٢١٥٤٦)، و(٣٦/ ٦١٨)، رقم (٢٢٢٨٨).

شريعتَه هي شريعةُ إبراهيمَ.

وأمَّا موسى فله شريعةٌ مختصَّةٌ به، هذا هو الرسول.

وأمَّا النبيُّ فهو الذي يُنبئُ ويُبلغُ على الصحيحِ، لكن لقومٍ موافقين غيرِ مخالِفِينَ ولا مشركينَ؛ كآدم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ لأنَّ ذريَّةَ آدمَ الذين بُعِثَ فيهم -وهم أولادُه- لم يكونوا مُشرِكِينَ في أوَّلِ الأمرِ.

كذلك أيضًا أنبياءُ بَنِي إسرائيلَ، لم يكونوا رُسُلًا، بل كانوا يُنبؤون ويُبلغون لكنَّهم يبلغونَ بَني إسرائيلَ الذين هم أتباعُ موسَى عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، فبنو إسرائيلَ كانتْ تَسُوسُهم الأنبياءُ، كلَّما ماتَ نبيٌّ بعثَ اللهُ نبيًّا كما جاءَ في الصحيحِ[١]، وأمَّا هذه الأُمَّةُ فإنَّها تُساسُ بالعلماءِ.

لذا،فإنَّ علماءَ هذه الأمَّةِ ليسوا كعلماءِ بني إسرائيلَ، بل هم علماءُ خيرٍ وليسوا بعلماءِ سُوءٍ، ولذا جاء في الحديث: «**يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ**»[٢] رواهُ ابنُ عبدِ البرِّ، وقالَ النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»[٣] رواه أبو داودَ.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب (أحاديث الأنبياء)، باب (ما ذكر عن بني إسرائيل)، (٤/ ١٦٩)، رقم (٣٤٥٥)، ومسلم، كتاب (الإمارة)، باب (الأمر ببيعة الخلفاء الأول فالأول)، (٣/ ١٤٧١)، رقم (١٨٤٢).

(٢) أخرجه البزار (١٦/ ٢٤٧)، رقم (٩٤٢٩)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٠/ ١٧)، رقم (٣٨٨٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١/ ١٤٠): رواه البزار، وفيه عمرو بن خالد القرشي، كذبه يحيى بن معين وأحمد بن حنبل، ونسبه إلى الوضع.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب (الملاحم)، باب (ما يذكر في قرن المائة)، (٤/ ١٠٩) رقم (٤٢٩١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٧)، رقم (٨٥٩٢). وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

فهذه الأمَّةُ محفوظةٌ بالعلماءِ الرَّبَّانِيِّينَ الصالِحِينَ، وإنْ حصلَ في هذه الأمَّةِ علماءُ سُوءٍ، لكن الغالب في حَمَلَةِ الوحيِ وحملةِ السُّنةِ أن يكونوا علماءَ خيرٍ وصلاحٍ، وليسوا كعلماءِ بني إسرائيلَ.

۞ **الركنُ الرابعُ: الإيمانُ بالكتبِ؛** الكتبِ المنزَّلةِ التي أنزَلَها اللهُ إلى رُسُلِهِ، منها ما سمَّاهُ اللهُ لنا ومنها ما لم يُسَمِّهِ، فنؤمنُ بما سمَّاهُ اللهُ لنا باسمِهِ؛ كالتوراةِ، والإنجيلِ، والزَّبورِ، وصُحُفِ إبراهيمَ عَلَيْهِ‌السَّلَامُ، ونؤمنُ أنَّ هناك كتبًا أنزَلَها اللهُ إلى رُسُلِه لا نعرفُ اسمَها، فنؤمنُ بأنَّ هذه الكتبَ هي كلامُ اللهِ، حروفُها وجُمَلُها كلُّها من اللهِ، تكلَّمَ اللهُ بها على جهةِ الحقيقةِ.

فالذي قال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، هو اللهُ، والذي قالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، هو الله، تكلَّمَ به على جهةِ الحقيقةِ لا على جهةِ المجازِ؛ فاللهُ يتكلَّمُ بكلامٍ يتكوَّنُ من حروفٍ، ويتكلَّمُ بكلامٍ يُسمَعُ.

إذا قال الله:﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾، فهذا كلامٌ يتكوَّنُ من حروفٍ، ويسمعُ هذا عيسى ابنُ مريمَ يومَ القيامةِ؛ إذًا هذه الكتبُ المنزَّلةُ هي كلامُ البارِي تكلَّمَ بها على جهةِ الحقيقةِ لا على جهةِ المجازِ.

۞ **الركن الخامس: الإيمانُ باليومِ الآخِرِ:** فنؤمنُ بكلِّ ما أخبرَ اللهُ به بعد الموتِ؛ من عذابِ القبرِ ونعيمِهِ، وما يكونُ في عَرَصاتِ يومِ القيامةِ، والجنَّةِ والنَّارِ، وكلِّ ما أخبرَ به في الكتابِ والسُّنةِ ممَّا يكونُ بعد الموتِ، فنؤمنُ به كما أخبرَ اللهُ بهِ وأخبرَ بِهِ رسولُه.

❁ **الركن السادس: الإيمانُ بالقَدَرِ خيرِه وشرِّه؛** فتؤمنُ بأنَّ ما أصابَكَ لم يكنْ لِيُخطِئَكَ وأنَّ ما أخطأَكَ لم يكن لِيُصيبَكَ.

وللقدر أركانٌ أربعة.

❍ **الركن الأول: العلم المحيط**: فتؤمنُ بأنَّ اللهَ قد أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلمًا؛ فعَلِمَ ما كان وعلمَ ما سيكونُ، وعلمَ ما لم يكنْ لو كان كيف يكونُ كما في قولِهِ تعالى:﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]، يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون؛ فعِلمُ اللهِ محيطٌ بكلِّ شيءٍ، فاللهُ يعلمُ أنَّ فلانًا سيولَدُ، وأنَّ فلانًا سيُقتلُ، وأنَّ فلانًا سيُرزَقُ بكذا، إلى غيرِ ذلك.

❍ **الركن الثاني: الكتابة**: فكتبَ كل ذلك في اللَّوحِ المحفوظِ؛ أَمَرَ القلمَ بأنْ يكتبَ، فجَرَى القلمُ بما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ.

❍ **الركن الثالث: المشيئة**: ثم إنَّ اللهَ شاءَ ما خلَقَ وأوجدَ، فلا يكون شيءٌ في هذا الكونِ إلَّا وقد شاءَهُ وأرادَهُ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

❍ **الركن الرابع: الخلقُ والإيجاد**: فاللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ، قالَ تعالَى:﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦]، وفي الحديثِ: «**اللهُ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد، باب (أفعال العباد)، (ص٤٦)، وابن أبي عاصم في السنة، (١/ ١٥٨)، رقم (٣٥٧)، والحاكم في المستدرك، (١/ ٨٥)، رقم (٨٥)، وقال: على شرط مسلم.

قوله: (المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ -رُكْنٌ وَاحِدٌ-، وهو: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(١)، والدَّلِيْلُ قَوْلُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾):

الإحسانُ هو المرتبةُ الثالثةُ من مراتبِ الدين، وهو أعلى مراتبِه.

ومعنى هذه المرتبةِ: أن تُراقبَ اللهَ، أن تعلمَ أنَّ اللهَ يراكَ، وأنَّ اللهَ يسمعُ قولَكَ، وأنَّه لا يخفى عليه شيءٌ من أفعالِكَ، فتُحْسِنَ عملَك.

فاللهُ يراكَ وأنت تُصلِّي، يراكَ وأنتَ تتصدَّقُ؛ فأحسِنْ عملَكَ-وإحسانُ العملِ بأنْ تُخلِصَهُ للهِ، وأن يكونَ صوابًا على السُّنةِ- قالَ تعالَى:﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ [البقرة:١١٢]، فـ﴿أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ ﴾: يعني أخلصَ، ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾: أي مُتَّبِعٌ للسُّنةِ، فاللهُ لا يقبلُ مِنَ العملِ إلَّا ما كان خالصًا له، صوابًا على سُنةِ نبيِّهِ، ولا شكَّ أنَّ الذي يراقبُ اللهَ يخشعُ في صلاتِهِ، يتدبَّرُ القرآنَ، يُحسِنُ في عملِهِ، هكذا يكونُ العبدُ متقنًا لعملِهِ محسنًا له إذا راقبَ ربَّه.

ولذا، كانت هذه المرتبةُ هي أعلى مراتبِ الدِّينِ.

إذن: ثمرةُ هذه المراقبةِ إحسانُ العَمَلِ، ولذا تُسَمَّى مرتبةَ الإحسانِ، لأنَّهُ يُراقِبُ اللهَ، يعلمُ أنَّ اللهَ يعلمُ باطنَه، ويعلمُ ظاهرَه، يعلمُ ما في قلبِهِ من إخلاصٍ أو رياءٍ، يعلمُ ما هو عليه من متابعةٍ للسنةِ، أو ابتداعٍ، فيُحْسِنُ عملَه ويعلَمُ أنَّه يُراقبُه،

---

(١) يشير إلى حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه البخاري، كتاب (الإيمان)، باب (سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة)، (١/ ١٩)، رقم (٥٠). مسلم كتاب (الإيمان)، باب (معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة)، (١/ ٣٦)، رقم (٨).

يسمعُ قولَه ويرى فعلَه، لا يخفى عليه شيءٌ من ذلك عَزَّوَجَلَّ.

قوله: (وَقَوْلُه تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، وقَوْلُه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾)، فهذهِ الآياتُ فيها أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ مُطَّلِعٌ على أعمالِ عبادِه خيرِها وشرِها فيرى إحسانَ المحسنين ويرى إساءةَ المسيئينَ فيُراقِبُ المؤمِنُ ربَّه ويُحسنُ عملَه.

قَوله: («والدَّلِيْلُ مِنَ السُّنَّةِ»: حَدِيْثُ جِبْرِيْلَ المَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ ابْنِ الخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذات يَوْمٍ، إذ طَلَع علينا رَجُلٌ شديدُ بياضِ الثيابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لا يُرَى عليهِ أَثَرُ السَّفَرِ ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إلى النبيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وقالَ: يا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنْ تَشْهَدَ أَنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُوْمَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيْمَانِ؟ قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ واليوم الآخِرِ وتُؤْمِنَ بالقدَرِ خيرِه وشرِّه**»، قَالَ: فَأَخبِرنِي عنِ الإِحْسَانِ؟ قالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قَالَ: فَأَخْبِرني عنِ السَّاعَةِ؟ قالَ: «**ما المَسْئُولُ عنها بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»، قَالَ: فَأَخْبِرنِي عَنْ أَمَارَاتِها؟ قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ ربَّتَها، وَأَنْ تَرى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ**»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ**»؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيْلُ أَتَاكُم يُعَلِّمُكُم أَمْرَ

دِينِكُمْ»(١)).

قوله: (فَأَخْبِرنِي عنِ السَّاعَةِ؟ قالَ: «ما المَسْئُولُ عنها بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»)، يعني يستوي في عدمِ العلمِ بوقتِهَا السائلُ والمسؤولُ، فالجميعُ يَستَوُونَ، وليس أحدٌ يتميَّزُ عن غيرِهِ في معرفةِ زمنِها، فلا أحدَ يَدرِي متى تكونُ الساعةُ إلَّا اللهَ.

قوله: «قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا»، يعنِي عن علاماتِها، والساعةُ لها أشراطٌ كُبرى وأشراطٌ صُغرَى، **ومِن علاماتِها:**

قوله: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا»؛ من العلماءِ مَن قالَ: بأنْ ينكحَ الرجلُ الأمَةَ وتلدَ له بنتًا، هذه البنتُ هي ابنةُ السيِّدِ، فهي سيدةٌ وأمُّها أَمَةٌ، فتخدُمُها أُمُّها؛ لأنَّ أمَّها أمةٌ وهي سيدةٌ.وقد كانَ هذا لمَّا كثُرتِ الفتوحاتُ، وكثرَ الرِّقُّ.

ومن العلماء من قال: أنَّ هذا دَالٌّ على كثرةِ العقوقِ، أو ظهورِ العقوقِ وأنَّ الأُمَّ تخدُم ابنتَها، أي تلدُ الأمُّ سيدتَها التي تأمرُها وتنهاها وهي ابنتُها، فيكونُ الأمرُ والنهيُ للبنتِ، وذلك لفسادِ المجتمعِ، هذا يُحتملُ، وهذا يُحتملُ، وإن كان المعنى الأولَ عندي أقربُ من المعنى الثاني.

قوله: «أتاكم يعلِّمُكم دينِكم»(٢): فيه أنَّ الدينَ تدخلُ فيه المراتبُ الثلاثُ؛ لأنه قالَ: أتاكم يعلمُكم دينِكم، وقد علَّمَهُم الإسلامَ والإيمانَ والإحسانَ، فدَلَّ على أنَّ الدِّينَ له مراتبُ ثلاثٌ أعلاها الإحسانُ ثمَّ الإيمانُ ثم الإسلامُ، والله أعلمُ.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب (التفسير)، باب (قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤])، (٦/ ١١٥)، رقم (٤٧٧٧). مسلم كتاب (الإيمان)، باب (معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة)، (١/ ٣٦)، رقم (٨).

(٢) سبق تخريجه.

قوله: (**الأَصْلُ الثَّالِثُ مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ العَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إسماعيلَ بْنِ إبراهيمَ الخَلِيْلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نبيِّنا أفضلُ الصلاةِ والسلامِ**)، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سيد قريش،ابْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، فالعربُ من بني إسماعيلَ، فنَسَبُهُ يرجعُ إلى إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ، وهو من قريشٍ الذين هم سادةُ العربِ، وبنو هاشمٍ الذين هم سادةُ قريشٍ، فهو خيارٌ من خيارٍ.

فهو مِن أنفَسِ العربِ نَسَبًا، ومن أشرَفِهم وأعلاهم حَسَبًا، وهو سيِّدُ العالَمِينَ وخيرُ الخلقِ أجمعينَ، وأكرمُ خليقةِ اللهِ على اللهِ، وهو خيرُهم منزلةً وجاهًا عندَ اللهِ من سائرِ النبيِّينَ ومن الملائكةِ أجمعينَ.

ولذا، قالَ عبدُ اللهِ بن سلامٍ: **"أكرمُ خليقةِ اللهِ على اللهِ محمدٌ، قيل له: فالملائكةُ؟ فقال: إنَّما الملائكةُ كالرِّياحِ وكالسماءِ والأرضِ، لا يَعصونَ اللهَ ما أمَرهم"**(١)، وقد جاءَ في صحيحِ مسلمٍ: «**خَيْرُ الْبَرِيَّةِ إِبْرَاهِيمُ**» يَعني الخليقةَ. رواهُ مسلمٌ(٢).

فإبراهيمُ هو في المنزلةِ الثانيةِ بعد محمدٍ؛ لأنَّ محمدًا هو سيِّدُ الناسِ يومَ القيامةِ كما جاء في الصحيحين(٣)، وفيهم إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقولُه: «**خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**

(١) أخرجه بنحوه الطبراني في المعجم الكبير، (١٣/ ١٦٧)، رقم (٤٠٠)، والحاكم في المستدرك، كتاب (العلم)، (٤/ ٦١٢)، رقم (٨٦٩٨)، وقال: صحيح. والبيهقي في شعب الإيمان، (١/ ٣٠٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب (الفضائل)، باب (من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ)، (٤/ ١٨٣٩)، رقم (٢٣٦٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب (أحاديث الأنبياء)، باب (قول الله تعالى: {إنا أرسلنا نوحًا إلى
=

إِبْرَاهِيمُ» يدلُّ على أنَّ خيرَ البريَّةِ هو محمدٌ؛ لأنَّ محمدًا هو سيِّدُ الناسِ أجمعينَ، وفيهم إبراهيمُ؛ فإبراهيمُ في المنزلةِ الثانيةِ بعد محمدٍ في رُسُلِ اللهِ، وهو خيرُ البريَّةِ الذين فيهمُ الملائكةُ وفيهم جميعُ الخلقِ.

قوله: (وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُون نَبِيًّا رَسُولًا)، لهُ مِنَ العُمرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، يَعني أَنَّه ﷺ عاشَ ثلاثًا وسِتِّينَ سنةً، أربعونَ من هذه المُدَّةِ كانتْ قبلَ بَعْثَتِهِ ﷺ، وأنَّه ﷺ عاشَ بعدَ النُّبُوَّةَ ثَلَاثًا وَعِشْرين سنةً.

قوله: (نُبِّئَ بـ﴿اقْرَأْ﴾، وَأُرْسِلَ بـ ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ)، وقد نُبِّئَ بـ﴿اقْرَأْ﴾، كما في الصحيحين[1]، لكنه لم يؤمَرْ بأنْ يُبلغ الناسَ حتى نزلتِ المدثرُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾

قوله: (بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ١-٧]. وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ. ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ

= قومه} إلى آخر السورة)، (٤/ ١٣٤)، رقم (٣٣٤٠)، ومسلم، كتاب (الفضائل)، باب (تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق)، (٤/ ١٧٨٢)، رقم (٢٢٧٨).

(١) أخرجه البخاري، كتاب (تفسير القرآن)، باب (قوله: {وربك فكبر} [المدثر: ٣])، (٦/ ١٦٢)، رقم (٤٩٢٤).

سِنِينَ)، وهذا يَدُلُّ على أهميةِ التوحيدِ، فإنَّ النبيَّ ﷺ مَكَثَ في مكَّةَ يدعو إليه عشرَ سنينَ، ولم يُؤْمَرْ بشيءٍ من الشرائعِ، والفرائضِ، وبعدَ عَشْرِ سنينَ عُرِجَ به ﷺ إلى السماءِ، وأُمِرَ بالصلواتِ الخمسِ، وهذا يدُلُّ على أهميةِ التوحيدِ وعلى أهميةِ الصلاةِ.

والعروجُ: هو الصعودُ؛ يَعني عُرِجَ به إلى السماءِ،أي أُصعِدَ إلى السماءِ من بيتِ المقدسِ؛ لأنَّه أُسريَ به ﷺ من مكةَ من المسجدِ الحرامِ إلى بيتِ المقدسِ، ثم عُرِجَ به حتَّى بلغَ سِدرةَ المُنتهَى.

قوله: (**وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَالهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلَامِ، والْهِجْرَةُ فَرِيْضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إلى بَلَدِ الإِسْلَامِ، وهي بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كنا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ وَقَوْلُه: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فاعبدون﴾، قَالَ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سَبَبُ نُزُولِ هَذِه الآيَةِ فِي المُسْلِمِينَ الذينَ فِي مَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُم اللهُ بِاسْمِ الإيمانِ، والدَّلِيْلُ عَلَى الهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ قَوْلُه ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حتى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها»**)، الهجرةُ فريضةٌ على هذه الأمةِ من بلدِ الشركِ إلى بلدِ الإسلامِ، فيجبُ على كلِّ مسلمٍ أن يهاجِرَ من بلدِ الشركِ إلى بلدِ الإسلامِ معَ القدرةِ، ولا يجوزُ له أن يمكُثَ بين ظهرَانَي المشركين إلاَّ أن يكونَ يُظهرُ دينَه في بلدِ الشِّرْكِ، يُظْهِرُ التوحيدَ، ويتبرأُ من الشركِ وأهلِه، يُؤمنُ باللهِ ويكفرُ بالطاغوتِ، ويُظهرُ شعائرَ الإسلامِ، فإنه لا يجبُ عليه أن يهاجرَ عندَ أهلِ

العلمِ.

إذن: إنما تجبُ الهجرةُ على الذي لا يقدرُ على إظهارِ دينِه، وأمَّا الذي يقدرُ على إظهارِ دينِه فإنَّ الهجرةَ مُستحَبَّةٌ في حَقِّه.

وهناكَ أيضًا هجرةٌ أخرى، وهي الهجرةُ من دارِ المعصيةِ إلى دارِ الطاعةِ إذا كانَ الإنسانُ في بلدٍ فيها معاصٍ، فهذه أيضًا نوعٌ من الهجرةِ، أن يهاجرَ منها إلى بلدِ الطاعةِ، إلى بلدٍ يكونُ فيها الناسُ من أهلِ الخيرِ والصلاحِ يأمرون بالمعروفِ وينهَون عن المنكرِ.

قوله: (فلمَّا اسْتَقَرَّ فِي المَدِيْنَةِ أَمَرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ، مِثْلِ الزَّكاةِ، والصَّوْمِ، والحَجِّ، وَالأَذَانِ، والجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ، والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوفِّيَ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ- وَدِيْنُهُ بَاقٍ)، إذًا تعليمُ الشرائعِ كان بالمدينةِ، وتعليمُ التوحيدِ كان بمكة حَرَسهما اللهُ، وإن كانت الصلاةُ -لِعِظَمِ شأنِها- قد أُمِرَ بها ليلةَ أُسريَ به، قبلَ هجرتِهِ بثلاثِ سنين.

قوله: (وَهَذَا دِيْنُهُ لا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَها مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الذي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيْدُ، وَجَمِيْعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، والشَّرُّ الذي حَذَّرَها عَنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيْعُ ما يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ، بَعَثَهُ اللهُ إلى النَّاسِ كَافَّةً، وافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيْعِ الثَّقَلَيْنِ الجِنِّ والإِنْسِ، والدَّلِيْلُ قَوْلُه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾)، فلا تختصُّ دعوتُه بالعربِ كما تقولُ اليهودُ، بل هو ﷺ نبيٌّ ورسولٌ إلى الثقلينِ الجنِّ والإنسِ ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ:٢٨]، فدعوتُه عامَّةٌ ﷺ، وكذا قالَ كما في صحيحِ مسلمٍ: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا**

يؤمن بالذي أُرسلت به إلا أدخله الله النار»(١)، ولذا فإنَّ اللهَ لا يقبلُ من الناسِ إلا الدينَ الذي بعثَ اللهَ به محمدًا ﷺ، فبعدَ بعثتِهِ لا يقبلُ اللهُ إلا الإسلامَ، ولذا فإنَّ النَّصارى في النارِ، واليهودَ في النارِ، وهم كفارٌ لا يقبلُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ منهم هذه الأديانَ التي يتدينونَ بها، لا يقبلُ اللهُ تعالى إلا الإسلامَ.

قوله: (وَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣])، فَكُلُّ ما قيلَ إنهُ من الدينِ مما يُتقرَّبُ به إلى اللهِ ولم يأتِ به ﷺ فهو بدعةٌ كبدعةِ المولِدِ مثلًا، وبعضِ الأذكارِ، وتحديدِ بعضِ الأوقاتِ لبعضِ الأعمالِ الصالحاتِ التي لم تردْ عن النبيِّ ﷺ فإنها من البِدَعِ؛ لأنَّ الدينَ قد أُكمِلَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فهو قد بلَّغَ البلاغَ المبينَ ولم يترُكْ خيرًا إلا دلَّنا عليهِ ولا شرًّا إلا حذَّرنا منه، ولذا قالَ الإمامُ مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**من شرَعَ في الدينِ فقد زعمَ أنَّ محمدًا قد خانَ الرسالةَ**»(٢).

لِمَ؟ لأنَّ اللهَ أخبرَ أنَّ نبيَّه ﷺ قد بلَّغَ البلاغَ المبينَ، وأنه ما تركَ خيرًا إلا أمرنا به ولا شرًّا إلا نهانا عنه ﷺ.

قوله: (والدَّلِيلُ على مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾)، فهو ميِّتٌ ﷺ، والأمواتُ لا يسمعون كلامَ الأحياءِ، إلاَّ ما جاءَ في الدليلِ؛ كالسلامِ على الميتِ؛ ولذا قالَ ﷺ: «**فإنَّ تسليمَكم يبلغُني حيثُ كنتم**»(٣)، وأما الاستغاثةُ به ودعاؤه ﷺ والاستشفاعُ به فإنَّ ذلك كُلَّه

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الاعتصام للشاطبي: (١/ ٤٩)، الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الأندلسي: (٦/ ٧٩١)

(٣) أخرجه المقدسي في الأحاديث المختارة (٢/ ٤٩)، رقم (٤٢٨)، والهيثمي في المقصد =

لا يسمعُه ﷺ ولا يبلغُه، ومن دعاه ﷺ واستغاثَ به فقد كفرَ باللهِ العظيمِ؛ لأنَّ هذا من دعاءِ الأمواتِ وهو ميتٌ ﷺ.

قوله: (والنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُه: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾، وقولُه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾ [نوح:١٧-١٨]، وَبَعْدَ البَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِم، والدَّلِيْلُ قَوْلُه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾ [النجم:٣١]، وَمَن كَذَّبَ بِالبَعْثِ كَفَرَ، والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن:٧])، فالذي يُكذِّبُ بالبعثِ فهو كافرٌ؛ لقوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْ﴾، فالمؤمنون يؤمنون أنَّ اللهَ يبعثُهم بعد موتِهم، فيَنزلُ مطرٌ من السماءِ كمَنِيِّ الرجالِ، وكان قد بقي من ابنِ آدمَ عَجْبُ الذَّنَبِ- الذي هو العُصْعُصُ- يبقى كأنَّه بذرةٌ في الأرضِ، فإذا نزل هذا المطرُ الذي كمَنِيِّ الرجالِ، نبتتْ منه أجسادُ الخليقةِ، وعادتْ إليهم أرواحُهم، وحُشِرُوا ونُشِرُوا بين يَدَي اللهِ يومَ القيامةِ.

قوله: (وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥]. وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لا نَبِيَّ بعدَهُ؛ والدليل قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وَالدَّلِيل عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ

= العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي (٢/ ٢٦٨)، وقال المقدسي: وفي إسْنَاده لين.

مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣])، فنوحٌ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هو أولُ رسلِ اللهِ، كما في الحديثِ المتفَقِ عليه، أنَّ الناسَ يأتونَ يومَ القيامةِ نوحًا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، يقولونَ: يا نوحُ، أنتَ أولُ رسلِ اللهِ، يسألونه أن يشفعَ لهم بين يدي اللهِ؛ فهو أولُ الرسلِ.

لكن آدمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هو أولُ الأنبياءِ؛ فأولُ الأنبياءِ آدمُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وأولُ الرسلِ نوحٌ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وهو مِن ذريَّةِ آدمَ، وآخرُ أنبياءِ اللهِ ورسلِهِ محمدٌ، ولا نبيَّ بعدَه.

والمهديُّ الذي يُنتظر، هو من ذريَّةِ محمدٍ وليس بنبيٍّ، وهو دونَ الصحابةِ في المنزلةِ؛ فهو رجلٌ صالحٌ يجدِّدُ اللهُ به أمرَ الدينِ في آخرِ الزمانِ، وهو محمد بن عبد الله الحسني، يرجعُ نسبُه إلى الحسن ابن علي من أولادِ فاطمةَ، لكن ليس بنبيٍّ وليس بمنزلةِ أبي بكرٍ ولا عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، ولا بمنزلةِ بقيَّةِ العشرةِ ولا سائرِ الصحابةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ، وإنما هو رجلٌ صالحٌ.

قوله: (وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ يَأْمُرُهم بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَه وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادةِ الطَّاغُوتِ، والدَّلِيلُ قَوْلُه:﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦])، فكلُّ أمةٍ من أممِ الأرضِ قد بعثَ اللهُ إليها رسُولًا إلى أن ختمَ اللهُ الرسلَ بمحمدٍ ﷺ. كُلُّ الأممِ في شرقِ الأرضِ وغربِها قد بُعثَ إليها رُسُلًا يدعونهم إلى عبادةِ اللهِ وحدَه لا شريكَ له، حتى ختمَ اللهُ أنبياءَه بأفضلِهم وهو محمدٌ ﷺ.

قوله: (وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ العِبَادِ الكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيْمَانَ بِاللهِ، قالَ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَعْنَى الطَّاغُوْتِ ما تَجَاوَزَ بِهِ العَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوْعٍ أَوْ مُطَاعٍ)، هذا هو الطاغوتُ؛ أي ما تجاوزَ الحدَّ، قالَ تعالَى:﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾ [الحاقة:١١]، يَعني تجاوزَ حدَّهُ فطَغَى.

فالطاغوتُ: هو الذي تجاوزَ حدَّهُ من:

معبودٍ: كالأوثانِ والأضرحةِ التي تُعبَدُ من دونِ اللهِ.

أو متبوعٍ: وهم علماءُ السُّوءِ الذين يُحلُّونَ للناسِ ما حرَّمَه اللهُ عليهم من ربًا ونحوِه.

أو مُطاعٍ: وهم الملوكُ والسلاطينُ الذين يحكمونَ الناسَ بغيرِ شرعِ اللهِ، فيُحِلونَ لهم الحرامَ ويُحرِّمونَ عليهم الحلالَ، ويُطيعُهم الناسُ في ذلك.

قوله: (والطَّوَاغِيْتُ كَثِيْرَةٌ، وَرُؤُوْسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيْسُ -لَعَنَهُ اللهُ-)، فإبليسُ هو من رؤوسِ الطواغيتِ؛ ولذا قالَ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾ [مريم: ٤٤]، فالشيطان يُعبدُ من دونِ اللهِ.

قوله: (وَمَن عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ)، الذي يُعبدُ وهو راضٍ هذا طاغوت، لكن الذي يُعبدُ وهو غيرُ راضٍ كعليٍّ والحسينِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فلا يُقالُ إنه طاغوتٌ، لكنَّ عبادتَهما من عبادةِ الطاغوتِ، لكن الذي يُعبدُ من دونِ اللهِ وهو راضٍ فهو طاغوتٌ.

قوله: (وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ)، كذلك هذا طاغوتٌ، مثل فرعون، ولو لم يُستجب له.

قوله: (وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ)، كالكهنةِ، والسحرةِ والمنجمينَ، وغيرهم فإنَّ هؤلاءِ كُلَّهم طواغيتُ.

قوله: (وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ)، كذلكَ من حكمَ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ فهو طاغوتٌ، فإن كانَ قد شرَّعَ تشريعًا عامًا فهذا كفرٌ أكبرٌ، كالذي يضعُ قانونًا فيه أنَّ الزانيَ لا يُرجمُ وإنما يُسجنُ إن كانتِ المرأةُ غيرَ راضيةٍ، وإن كانتْ راضيةً فلا شيءَ عليه، هذا تشريعٌ عامٌّ فمن شرَّعَ تشريعًا عامًا أو عملَ به فهذا من الكفرِ؛ لأنه

يتضمنُ رضاه بهذا القانونِ، وأنَّ هذا القانونَ فيه مصلحةٌ وفيه خيرٌ وفيه عدالةٌ.

وأمَّا القاضي الذي يحكمُ في بعضِ القضايا بغيرِ ما أنزلَ اللهُ، إما لِرشوةٍ وإما لرهبةٍ أو لرغبةٍ فإن هذا لا يكفرُ، أي بعضُ القضاةِ مثلًا قد يحكمُ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ في مسائلَ، يأتيه مثلًا الزاني الذي يثبتُ عليه الزِّنَا بأربعةِ شهودٍ، ثم لا يقيمُ عليه الحدَّ؛ لشرفِه أو رغبةٍ أو رهبةٍ، هذا لا يكفرُ، وإنما هذا من كبائرِ الذنوبِ، وأما الذي يضعُ قانونًا ويعملُ به ويكونُ تشريعًا عامًا فإنَّ هذا من الكفرِ الأكبرِ المُستبينِ كما قالَ الشيخُ محمدُ ابنُ إبراهيمَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (والدَّلِيْلُ قَوْلُه: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٥]، وَهَذَا مَعْنَى "لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ"، وفِي الحديثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ: الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ: الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ: الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»[١] واللهُ أَعْلَمُ).

فـ"لا إلهَ إلا اللهُ" هي العروةُ الوثقى، الإيمانُ باللهِ والكفرُ بالطاغوتِ.

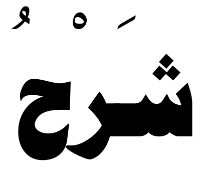
"لا إلهَ": كفرٌ بالطاغوتِ.

"إلا اللهُ": إيمانٌ باللهِ وقصرٌ للعبادةِ وحصرٌ لها به تعالى دونَ ما سواه.

واللهُ أعلمُ، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعين

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب (الصلاة)، باب (ما جاء في حرمة الصلاة)، (٤/ ٣٠٨)، رقم (٢٦١٦)، وأحمد (٣٦/ ٣٤٥)، رقم (٢٢٠١٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.



القَوَاعِدِ الأَرْبَعِ

لِشَيْخِ الإِسْلَامِ

مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

لفضيلةِ الشيخِ

حمد بنِ عبدِ اللّه الحمد

حفظَه اللهُ



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعينُ وصلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعينَ

القواعدُ الأربعُ:

شرح القواعد الأربع:

قالَ الإمامُ المجدِّدُ وشيخُ الإسلامِ محمدُ بنُ عبدِ الوهابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمةً واسعةً- في كتابِ القواعدِ الأربعِ:

(أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّن إذا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَر، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاث عُنْوَانُ السَّعَادَةِ).

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وبه نستعينُ، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعينَ.

وبعدُ:

فبينَ أيدينا رسالةٌ فيها قواعدُ أربعةٌ للإمامِ المجدِّدِ المصلحِ شيخِ الإسلامِ محمدِ بنِ عبدِ الوهابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذه القواعدُ الأربعُ فيها الردُّ على شُبَهِ المبطِلينَ في تَوْحِيدِ العِبَادَةِ الذين يَدْعُونَ مِنْ دُوْنِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا أربابًا يَنذِرُون لهم ويذبحون

لهم، فقرَّرَ الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه القواعدِ الأربعِ بطلانَ هذا المذهبِ، وبطلانَ ما استدلُّوا به من شُبَهٍ.

وافتتحَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابَه بالدعاءِ لطالبِ العلمِ الذي يقرأُ هذا الكتابَ، وهذا من حُسنِ تعليمِه رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنَّ هذا له أثر في طالبِ العلمِ، وفيه أيضًا الرفعةُ بطالبِ العِلمِ.

قولُه: (**فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ**)، ومعنى **عنوانِ السعادةِ**: أي ما يُسْتَدَلُّ به عليها.

قولُه: (**اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إبراهيمَ: أَنْ تعبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا له الدينَ كما قالَ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾**)، فهذا هو الدينُ الذي بعثَ اللهُ -تعالى- به رُسُلَه وهذه هي الحنيفيَّةُ التي كانَ عليها إمامُ الحُنَفَاءِ إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهي التي قالَ اللهُ فيها: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إلا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾، فَمن تركَ هذه الملةَ فقد سفِهَ نفسَه، ووقعَ في الشِّركِ.

قولُه: (**فَإِذَا عَرَفْتَ أنّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِه فَاعْلَمْ: أَنَّ العِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلاةَ لا تُسَمَّى صَلاةً إِلَّا مع الطَّهَارَةِ، فإذا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي العِبَادَةِ فَسَدَتْ كالحَدَثِ إِذَا دَخَلَ في الطَّهَارَةِ. فإذا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ العِبَادَةَ أَفْسَدَها وَأَحْبَطَ العَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُه مِنَ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ عَرَفْتَ أنّ أهمَّ ما عَلَيْكَ: مَعْرِفَةُ ذلِكَ؛ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ باللهِ الذي قالَ اللهُ فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِه**)، فالشِّركُ إذا دخلَ في العبادةِ أفسدَها، فلابدَّ من التوحيدِ، فإذا كانَ الرجلُ يصومُ ويصلِّي ويشهدُ الجماعةَ ويقومُ الليلَ ويتصدقُ، لكنه ينذِرُ للأمواتِ من دونِ اللهِ ويدعُوهم، ويستغيثُ بهم، ويسألُهم من دونِ اللهِ فقد أشركَ باللهِ.

فمن كانَ يعبدُ اللهَ جَلَّوَعَلَا ويعبدُ معَه غيرَه فهو مشركٌ باللهِ، والتوحيدُ هو أن يعبدَ اللهَ وحدَه، ولا يشركَ به شيئًا؛ وهذا جمعَ بين عبادةِ اللهِ جَلَّوَعَلَا وبين عبادةِ غيره.

❁ **قولُه**: (**القَاعِدَةُ الأُولَى: أَنْ تَعْلَمَ أنّ الكفّارَ الذينَ قاتلَهم رسولُ اللهِ ﷺ يُقِرُّون بأنّ اللهَ -تعالى- هو الخَالِقُ المُدَبِّرُ، وأنّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ، وَالدَّلِيْلُ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾**)، هؤلاءِ الذين تقدَّمَ أنهم يجمعونَ بين عبادةِ اللهِ وعبادةِ غيرِه يقولونُ إننا لسنا كالمشركين الذين بُعِثَ إليهمُ النبيُّ ﷺ؛ فإنهم كانوا لا يُقِرُّونَ بالخالقِ، ولا يؤمنون بأنَّ اللهَ هو الربُّ فما الجوابُ؟

الجوابُ: بما في هذه القاعدةِ نقولُ لهم: إنَّ الكفارَ الذين بُعِثَ إليهم النبيُّ ﷺ كانوا مُقِّرين بأنَّ اللهُ هو الخالقُ الرازقُ المدَبِّرُ لشؤونِهم المتصرِّفُ بأحوالِهم جَلَّوَعَلَا فهو الذي يخلقُ، وهو الذي يرزقُ، وهو الذي يُحيي، وهو الذي يُميتُ، كانوا مُقِّرين بهذا للهِ، لكنهم كانوا يُنكرونَ توحيدَ العبادةِ قالَ تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، **أي**: أفلا تتَّقُونَ اللهَ فتُفردونه بالعبادةِ ولا تعبدون معه غيرَه.

إذًا هذه القاعدةُ فيها ردٌّ على المشركين المعاصرين الذين يقولون إنَّ المشركين الأُوَلَ الذين بُعِثَ إليهمُ النبيُّ ﷺ ما كانوا مُقِرِّينَ بالربوبيةِ، فنقولُ لهم: بل كانوا مقرين بالرُّبوبيَّةِ، ولم يُدخلْهم هذا في الإسلامِ كما بيَّنَ اللهُ جَلَّوَعَلَا ذلك في آياتٍ كثيرةٍ من كتابِه.

❁ **قوله**: (**القَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ**: أَنّهُمْ يَقُوْلُوْنَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لِطَلَبِ القُرْبَةِ والشَّفَاعَةِ، فَدَلِيْلُ القُرْبَةِ قَوْلُهُ تعالى: ﴿والذين ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أولياء مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا ليقربونا إلى الله زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾)، أي أنَّ الكفارَ الذين بُعِثَ إليهم النبيُّ ﷺ كانوا يقولون نحن ما سألنا الأندادَ، ولا دعوناهم إلا لطلبِ القُربةِ والشفاعةِ، فيقولون إنَّ لهم منزلةً عند اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ فنحن لهذه المنزلةِ التي لهم ندعوهم ليكونوا لنا شفعاءَ لا نعتقدُ أنهم ينفعون ولا يضرون، ولا أنهم يُحيون ولا يُميتون ولا يرزقون ولا يُنزلونَ المطرَ ولا يتصرفون في هذا الكونِ، ولا يخلقون؛ بل الذي يفعلُ ذلكَ كُلَّه هو اللهُ جَلَّوَعَلَا لكننا نتخذُهم شفعاءَ فلهم عند اللهِ جاهٌ ولهم عند اللهِ منزلةٌ فنحنُ لهذه المنزلةِ نتخذُهم شُفَعَاءَ.

فاللاتُ مثلًا كانَ رجلًا يَلُتُّ السويقَ للحاجِّ، ويُطعمُ الحاجَّ، وكانَ رجلًا صالحًا، فلما ماتَ عكفوا على قبرِه، واتخذوه شفيعًا لهم، وواسطةً بينهم وبينَ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا ليقربونا إلى الله زُلۡفَىٰٓ﴾، أي ما نعبدُهم لشيءٍ إلا ليُقرِّبونا إلى اللهِ زُلفَى، ما نعبدُهم لاعتقادِ أنهم ينفعون أو يضرون، الذي ينفعُ ويضرُّ هو اللهُ جَلَّوَعَلَا لكنا نعبدُهم ليُقرِّبُونا إلى اللهِ زلفى.

والزُّلْفَى: القُربَى والمنزلةُ، أي لِيُقَرِّبُونا إليه تقريبًا.

وهذا كذِبٌ على اللهِ وافتراءٌ عليه، ولذا قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾.

قولُه: (وَدَلِيْلُ الشَّفَاعَةِ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا

﴿يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، والشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَان: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ: فَالشَّفَاعَةُ المَنْفِيَّةُ ما كانت تُطْلَبُ من غيرِ اللهِ فيما لا يَقْدِرُ عليهِ إلاّ اللهُ، والدَّلِيْلُ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أنفقوا مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قبل أن يأتي يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

وَالشَّفَاعَةُ المُثْبَتَةُ هي: التي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، والشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ، والمَشْفُوْعُ لَهُ: مَنْ رضيَ اللهُ قَوْلَهَ وَعَمَلَه بَعْدَ الإِذْنِ كَمَا قَالَ تَعالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾).

❁ الشفاعةُ نوعانِ:

شفاعةٌ مثبتةٌ.

وشفاعةٌ منفِيَّةٌ.

الشفاعةُ التي كانَ الكفَّارُ يعتقدونها هذه منفيَّةٌ، لأنهم يطلبون من هؤلاءِ الشفعاءِ مالا يقدرُ عليه إلا اللهُ، يقولونَ إنَّ هؤلاءِ الشُّفَعَاءَ لهم وجاهةٌ عند اللهِ، فنحن نسألُهم، واللهُ يُعطيهم ذلك لنا، ولذا يقولون إنَّا نسألُهم لوجاهتِهم، ولمنزلتِهم عندَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ كَالحُجَّابِ والوزراءِ عند الملوكِ، هذا هو اعتقادُهم، فهذه الشفاعةُ هي التي نفاها اللهُ جَلَّوَعَلَا.

❁ واشترطَ في الشفاعةِ المُثبتة شرطينِ:

الشرطُ الأوَّلُ: أن تكونَ الشفاعةُ بعد إذنِ اللهِ جَلَّوَعَلَا فلا أحدَ يشفعُ إلا بعدَ أن يأذنَ اللهُ له في الشفاعةِ؛ ولذلك النبيُّ ﷺ يومَ القيامةِ عندما يشفعُ للخلقِ ليُفصَل بينهم لا يشفعُ ابتداءً حتى يستأذنَ ربَّه جَلَّوَعَلَا ويسجُدَ للهِ جَلَّوَعَلَا ويقولُ اللهُ جَلَّوَعَلَا له يا محمدُ ارفعْ

رأسَكَ، وقل يُسمعْ، وسل تُعطَ، واشفعْ تُشَفَّعْ[(١)].

الشرطُ الثاني: أن يرضى اللهُ عن المشفوعِ له، فإذا كانَ المشفوعُ له مُشْركًا فإن الله لا يرضى أن يُشفعَ له؛ لأنه لابدَّ في الشفاعةِ من توحيدِ المشفوعِ له؛ بأن يكونَ مُوَحِّدًا للهِ جَلَّوَعَلَا.

❁ **قولُه: «القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ في عباداتِهم، منهم مَن يعبُدُ الملائكةَ، ومنهم من يعبدُ الأنبياءَ والصالحينَ، ومنهم من يعبدُ الأحجارَ والأشجارَ، ومنهم مَن يعبدُ الشمسَ والقمرَ، وقاتلَهم رسولُ اللهِ ﷺ ولم يفرِّقْ بينهم، والدليلُ قولُه تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾»**، هذه القاعدةُ يرُدُّ بها رَحِمَهُ ٱللَّهُ على شبهةٍ مشتهرةٍ عند القبوريين، وهي أنهم يقولون إنَّ الشركَ عبادةُ الأصنامِ، فإذا قلتَ لهم إنَّ عبادةَ الأضرحةِ ودعاءَهم من دون اللهِ، والنذرَ لها، والذبحَ شركٌ، قالوا إنما الشركُ عبادةُ الأصنامِ، ونحن لا نعبُدُ الأحجارَ كما كانت تعبُدُ قريشٌ الأحجارَ.

يقولون: ونحنُ إنما نرى أنّ لهؤلاءِ الصالحين منزلةً ووجاهةً عند اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

فهذه القاعدةُ فيها ردٌّ على هؤلاء.

فنقولُ: ليس كلامُكم صحيحًا من أنَّ المشركين كلَّهم كانوا يعبدون الأحجارَ، بل منهم من كان يعبدُ الأحجارَ، ومنهم من كان يعبدُ الأشجارَ، ومنهم من كانَ يَعبدُ الشمسَ والقمرَ، ومنهم من كان يعبدُ الملائكةَ، ومنهم من كانَ يعبدُ الأنبياءَ كالنصارى الذين يعبدون مريمَ، وكانت قريشٌ تعبُدُ الأولياءَ، كاللاتِ فإنَّهُ كانَ رجلًا صالحًا يَلُتُّ السويقَ، ثم أوردَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأدلةَ على هذا.

(١) جزء من حديث الشفاعة الطويل أخرجه البخاري(٣٣٤٠)، ومسلم(١٩٤)

قولُه: (والدليلُ قولُه تعالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾)، فقد أَمرَ بقتالِ الجميعِ ولم يُفرِّقْ بينهم.

قولُه: (وَدَلِيْلُ الشَّمْسِ والقمَرِ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ﴾).

قُوْلُه: (وَدَلِيْلُ المَلائِكَةِ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تتخذوا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ﴾، وَدَلِيْلُ الأَنْبِياءِ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وإذ قال ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يكون لِيٓ أَنۡ أَقُولَ ماليس لي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾)، هذا في عبادةِ الملائكةِ والأنبياءِ.

قَوْلُه: (وَدَلِيْلُ الصَّالِحينَ قولُه تعالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ...﴾ الآية)، أي: أولئك الذين يدعوهم المشركينَ من دونِ اللهِ يتَّصفُون بأنهم يبتغون إلى ربِّهم الوسيلةَ أيُّهْم أقربُ ويرجونَ رحمتَه ويخافونَ عذابَه، فهم أولياءُ صالحونَ لكن هؤلاءِ المشركين يَعْبدونهم من دونِ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

قَوْلُه: (وَدَلِيْلُ الأَحْجارِ وَالأَشْجارِ قَوْلُه تَعالَى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ﴾ [النجم:١٩]، وَحَدِيثُ أبي واقِدٍ الليثيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبيِّ ﷺ إلى حُنَيْنٍ، ونحنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِيْنِ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوْطُوْنَ بِهَا أَسْلِحَتَهُم يُقَالُ لَهَا: ذَاتَ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ

أَنْوَاطٍ كَمَا لهم ذاتُ أنواطٍ... الحديث[(١)]**)**، ينوطونَ بها أسلحتَهم، أي يُعَلِّقُون بها أسلحتَهم.

﴿ **قَوْلُه**: **(القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ: أنّ مُشْرِكِي زَمَانِنا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِين، لأنَّ الأَوَّلِينِ يُشْرِكُونَ في الرَّخاءِ ويُخْلِصُوْنَ في الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُوا زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ؛ فِي الرَّخَاءِ والشِّدَّةِ. والدليلُ قَوْلُه تعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥])**، لما بيَّنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القواعدِ السابقةِ أنَّ الذي عليه المعاصرون شِرْكٌ كشركِ الأولين، وبيَّنَ أنهم أشدُّ في ذلك؛ لأنَّ الأوَّلينَ يُشركونَ في حالِ الرخاءِ لا في الشدةِ.

أمَّا هؤلاءِ المعاصرون فهم يُشركونَ في الرخاءِ والشدةِ، فإذا مرِضَ أحدُهم فإنه يلجأُ إلى الأضرحةِ، وإذا عَقُمَ ولم يأتِه ولدٌ لجأَ إلى الأضرحةِ من دونِ اللهِ، وفي الحروبِ يلجأون إلى الأولياءِ، فهم إذًا يُشرِكُونَ في الرخاءِ وفي الشدةِ، وأمَّا المشركون الأوَّلونَ فإنهم يُشركونَ في الرخاءِ، ويُوحِّدُون في الشدةِ. قالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

واللهُ أعلمُ، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين

۞

(١) أخرجه الترمذي، (أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ)، باب (ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم)، (٤/ ٤٥)، رقم (٢١٨٠)، وأحمد (٣٦/ ٢٢٥)، رقم (٢١٨٩٧)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.



لِشَيْخِ الإِسْلَامِ

مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

لفضيلةِ الشيخِ

حمد بن عبدِ الله الحمد

حفظَه اللهُ



شرح نواقض الإسلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فبين أيدينا رسالة نافعة لشيخ الإسلام الإمام المصلح محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، جمع فيها عشرةُ نواقضَ من نواقضِ الإسلامِ، وبيَّنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ هذه النواقضَ كُلَّها من أعظمِ ما يكونُ خطرًا وأكثرَ ما يكون وقوعًا.

والنقضُ: وهو ضدُّ الإبرامِ، يُقالُ: نقضُ البيتِ، أي: هدمُه.

فمن أتى ناقضًا من نواقضِ الإسلامِ فقد هدَمَ دينَه نسألُ اللهَ العافيةَ.

وقد جمعَ العلماءُ من المذاهبِ الأربعةِ نواقضَ الإسلامِ في بابِ حكمِ المرتدِّ، ومن اطلَّعَ على هذا الباب في كُتُبِ الفُقَهَاءِ من المذاهبِ الأربعةِ علِمَ بُطلانَ دعوى المناوئين لشيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ، والإمامِ محمدِ بنِ عبدِالوهابِ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، وعلِمَ أنهما ومن سارَ على طريقِهما من علماءِ الدعوةِ لا يُكفِّرونَ إلا بما أجمعَ العلماءُ على أنه من المُكَفِّراتِ، أو ما دلَّتِ النصوصُ الصريحةُ على أنه من المُكفِّراتِ.

ووجدَ المُطَّلِعُ على هذا البابِ أنَّ كثيرًا من الفقهاءِ عندهم توسُّعٌ في هذا البابِ،

وأنهم يُكَفِّرونَ في مسائلَ لا يُكَفِّرُ بها شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ ولا شيخُ الإسلامِ محمدُ بنُ عبدِ الوهابِ رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

فالطريقةُ التي سارَ عليها علماءُ الدعوةِ المباركةِ أنهم لا يُكَفِّرونَ إلا مَن كفَّرَه اللهُ ورسولُه.

قالَ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُٱللَّهُ في نونيَّتِه:

الكفرُ حقُّ اللهِ ثُمَّ رسولِه ... بالشرعِ يثبُتُ لا بقولِ فلانِ
مَن كانَ ربُّ العالمينَ وعبدُه ... قد كفَّرَاه فذاكَ ذو الكُفرانِ

قالَ المؤلفُ رَحِمَهُٱللَّهُ: **(اعْلَمْ أنَّ نَوَاقِضَ الإسْلَامِ عَشَرَةٌ)**:

الأَوَّلُ: (الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وَمِنْهُ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ، كَمَنْ يَذْبَحُ لِلْجِنِّ أَوْ لِلْقَبْرِ).

الشِّرْكُ فِي العِبَادَةِ نَاقِضٌ مِنْ نَوَاقِضِ الإسلامِ وهو أن يتخذَ العبدُ معَ اللهِ شَريكًا يَصْرِفُ إليه شيئًا من أنواعِ العبادةِ، ولو كَانَ ما يَصْرِفُ إلى غيرِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا الأقلَّ من عبادتِه وما يَصْرِفُ إلى اللهِ الأكثرُ، وذلك لأنَّ اجتماعَ الشُّرَكَاءِ في شيءٍ لا يقتضي تَساوِيَ أَسْهُمِهم فيه، فهذا شَرِيْكٌ لَهُ سَهْمٌ وَهَذا شَرِيْكٌ لَهُ ألفُ سَهْمٍ.

قَالَ اللهُ عن نَبِيِّه مُوسَى: ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾، أي: اجعلْ هارونَ شريكي في أمرِ الرسالةِ. قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾، ومعلومٌ أنَّ حظ هارونَ من الرسالةِ دونَ حظ موسى.

ولذا فإنَّ العاملَ في المالِ على جزءٍ من الربحِ يُعَدُّ شريكًا.

وقد أجمعَ العلماءَ على أنَّ من صرف شيئًا من أنواعِ العباداتِ إلى غيرِ اللهِ فهو مشركٌ كافرٌ، وبه تواترت النُّصوصُ من كتابِ اللهِ وسنةِ نبيِّه ﷺ.

قالَ الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمِنْهُ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ كَمَنْ يَذْبَحُ لِلْجِنِّ أَوِ لِلْقَبْرِ**): النُّصُوصُ من كتابِ اللهِ وسنةِ نبيِّه ﷺ دالةٌ دلالةً قطعيةً على أنَّ الذبحَ عبادةٌ يجبُ إخلاصَها للهِ، قالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ الآية.

والنُّسكُ: هو الذبحُ.

وقولُه: «**لا شَرِيكَ لَهُ**»: فيه أنَّ من ذبحَ لغيرِ اللهِ فقد اتخذَه شريكًا من دونِ اللهِ، فمن ذبحَ للجنِّ فقد أشركَ باللهِ شركًا أكبرَ، كمن اشترى دارًا فذبحَ شاةً لئلا يُصيبَه مكروهٌ من الجنِّ، وفي صحيحِ مسلمٍ أنَّ الرسولَ ﷺ قالَ:«**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**»(١).

وكذلك من ذبحَ للأمواتِ ليشفعوا له عندَ اللهِ، فكلُّ ذلك شركٌ أكبرُ.

ومن ذبحَها للحمِ وذكرَ اسمَ غيرِ اللهِ عليها كالجنِّ أو المسيحِ أو الشيخِ فلانٍ فهو شركٌ بالاستعانةِ. قالَ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وهو كفرٌ أكبرُ، وهو في بابِ الربوبيَّةِ.

ومن أنواعِ الذبحِ الشركيةِ ما يُسمَّى بالذبحِ لطلعةِ السلطانِ، فتُراقُ الدماءُ في طريقِه، هم ما يقصدون من ذلكَ إكرامَ السلطانِ باللحمِ، الإكرامُ باللحمِ هذا أمرٌ حسنٌ، لكنهم يذبحون لتُراقَ الدِّماءُ فقط كما تُراقُ الدِّماءُ للهِ في الحجِّ، وفي العمرةِ،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب (الأضاحي)، باب (تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله)، (٣/ ١٥٦٧)، رقم (١٩٧٨)، من حديث عامر بن واثلة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وفي الأضاحي يُريقونَ هذه الدماءَ تَقَرُّبًا له، يُسَمَّى الذبحَ لطلعةِ السلطانِ، هذا أيضًا من الشركِ.

وأمَّا ذبحُ الذبائحِ يُكرمونَ بها السلطانَ يعني: يذبحونها لتُطبخَ وتؤكلَ هذا أمرٌ جائزٌ، وإنما يُنهَى عن الإسرافِ، أما الذبحُ لطلعةِ السلطانِ يعني: تقربًا للسلطانِ، وتعظيمًا للسلطانِ، يعني يُريدُ أن يمرَّ من هذا الطريقِ، يأتي هؤلاءِ بالإبلِ، وهؤلاءِ بالبقرِ، وهؤلاءِ بالغنمِ، ثم تُنحرُ في طريقِه ويمرُّ يتركُها، يتقربون إليه بسفكِ الدمِ، هذا من الشركِ باللهِ.

قالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّانِي: مَنْ جَعلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ وَسَائِطَ يَدْعُوهُم وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ، ويتوَكَّلُ عليهم كَفَرَ إجماعًا)**، كما حكاهُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ.

قالَ اللهُ تَعَالى عن المشركين: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾، قالَ مجاهدٌ كما في تفسيرِ ابنِ جريرٍ: «**قالتْه قريشٌ لأوثانِها، وقالَه من قبلَهم للملائكةِ وعيسى وعُزَيِّرٍ**»، وهذه شُبْهَةُ المشركين قديمًا وحديثًا.

وقولُه: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾، هذا هو الاستثناءُ المُفرَّغُ، أي ما نعبدُهم لشيءٍ ولكن نطلبُ شفاعتَهم عند اللهِ فنحنُ لا نعتقدُ أنهم ينفعون أو يضرون.

فنفى هؤلاء المشركون أن يكونوا قد قصدوا بعبادةِ الأوثانِ شيئًا سوى الشفاعةِ والوساطةِ.

والزُّلفى بمعنى القُربى، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾، فجعلَ اللهُ قولَهم كذبًا عليه وكفرًا به.

وقالَ تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾، وما لا يعلمُه اللهُ فليسَ بكائنٍ، وهذا كما يُقالُ لمن يُفتي بغيرِ علمٍ: أتُفتي بما لا يعلمُه العلماءُ.

ثم قالَ تَعالَى: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾، فدلَّت هذه الآيةُ على أنَّ من اتخذَ من دونِ اللهِ وسائطَ يسألُهم ويتوكلُ عليهم ويدعوهم فقد كفرَ.

وهذا حالُ عبادِ الأضرحةِ، فإنهم يقولون: إنَّ لهؤلاءِ الصالحينَ جاهًا ومنزلةً، فنحن نسألُهم ونتوكلُ عليهم، وهم يرفعون حاجاتِنا إلى اللهِ، وهذا من جنسِ ما كان عليه المشركون الأولون كما تقدَّمَ تقريرُه.

قالَ المؤلِّفُ: **(الثَّالِثُ: مَنْ لَمْ يَكْفِّرْ المُشْرِكِينَ أو يَشُكُّ في كُفْرِهِم أو صَحَّحَ مَذْهَبَهم، كفَرَ)**، من لم يُكَفِّرْ من دانَ بغيرِ الإسلامِ كالنصارى واليهودِ، ومن عَلِمَ كفرَهم بالنصوصِ من الكتابِ والسنةِ، أو شَكَّ في كفرِهم أو صحَّحَ دينَهم فهو كافرٌ، لأنه مكذِّبٌ لقولِه تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾، وفي صحيحِ مسلمٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: **«لا يسمعُ بي يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم لا يؤمنُ بالذي أُرْسِلْتُ به إلا كبَّهُ اللهُ في النَّارِ»**(١).

فمن رأى أن المِلَلَ كاليهوديةِ والنصرانيةِ والإسلامِ هي بمنزلةِ المذاهبِ الأربعةِ عند المسلمين، وأنَّ كلَّ طريقٍ منها يُوصلُ إلى اللهِ فقد كفرَ؛ لأنه مُكذِّبٌ للقرآنِ وصريحِ السنةِ وإجماعِ أهلِ الإسلامِ.

(١) أخرجه مسلم، كتاب (الإيمان)، باب (وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام)، (١/ ١٣٤)، رقم (١٥٣).

وهذه المقالةُ الباطلةُ الكُفْرِيَّةُ يُدعى لها باسمِ التقريبِ بين الأديانِ، أو الإخاءِ الدينيِّ، ولها دعاةٌ في كلِّ عصرٍ.

ومن اعتقدَ أنَّ الكنائسَ بيوتُ اللهِ وأنَّ اللهَ يُعبدُ فيها، أو أعانَهم على فتحِها وإقامةِ دينِهم فيها واعتقدَ أنَّ ذلك قربةٌ وطاعةٌ فهو كافرٌ لتضمُّنِه اعتقادَ صحةِ دينِهم.

وأهلُ البِدَعِ يبتدعونَ بدعةً مخالفةً للكتابِ والسنةِ وإجماعِ الصحابةِ، ويُكفِّرونَ من خالفَهم في بدعتِهم، وهذا من أعظمِ الجَهْلِ؛ فيكفُرونَ جهلًا، ثم يُرتِّبُون على ذلك تكفيرَ من لم يوافقْهم ويقولون: من لم يُكفِّرِ الكافرَ فهو كافرٌ مثلُه، كما كفَّرتِ الخَوارِجُ عَليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكفَّرُوا من خالفَهم.

وابتدعت الرافضةُ تفضيلَ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الثلاثةِ، وتقديمَه في الإمامةِ، والنصَّ عليه، ودعوى العصمةِ له، وكفَّرُوا من خالفَهم – وهم جمهورُ المؤمنين-.

وابتدعت الجهميَّةُ نفيَ الصِّفاتِ، وأنَّ كلامَ اللهِ مخلوقٌ، وامتحنوا النَّاسَ، وكفَّرُوا من لم يُوَافِقْهُم.

وكذا في هذا العصرِ من كفَّرَ الولاةَ كفَّرَ من خالفَهم من المؤمنين، وهذا كُلُّه من الجهلِ والظلمِ، فإنَّ التكفيرَ حُكْمٌ شرعِيٌّ لا يَجُوزُ أن يُطْلَقَ إلا على من كفَّرَهُ اللهُ ورسولُه، وتوفَّرت فيه الشروطُ، وانتفت الموانعُ كما سيأتي بيانُه إن شاءَ اللهُ.

قالَ المؤلِّفُ: (الرَّابِعُ: مَنِ اعْتَقَدَ أنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ أَكْمَلُ من هَدْيِه، أو أنَّ حُكْمَ غيرِه أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ – كالذي يُفضِّلُ حكمَ الطَّواغِيتِ على حُكْمِهِ –؛ فَهُوَ كَافِرٌ)، هذا مِنْ لَوَازِمِ شَهَادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمدٌ رسولُ اللهِ التحاكمُ إلى الكتابِ والسُّنَّةِ في أصولِ الدينِ وفروعِه، قالَ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ

أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾، وقالَ تَعَالَى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، فمن فضَّلَ حكمَ الطاغوتِ على حكمِ اللهِ، أو اعتقدَ جوازَ التحاكُمِ إلى غيرِ شرعِ اللهِ فهو كافرٌ.

وكذلك من حكمَ في الأمورِ الكليَّةِ بغيرِ شرعِ اللهِ؛ أي وضَعَ تشريعاتٍ عامةً تخالفُ الشريعةَ الإسلاميةَ فقد كفرَ؛ كمن وضع قانونًا فيه أن الزانيَ المُحصنَ لا يُرجمُ ولا يُجلدُ؛ لأنَّ ذلك يتضمَّنُ اعتقادَه أنَّ هذا القانونَ العامَّ أصلحُ للناسِ من الشرعِ، فإنَّ الأممَ إنما تضعُ قوانينَ تعتقدُ أنها خيرٌ لها وأصلحُ من غيرِها.

وأمَّا الأمورُ المعيَّنَةُ فلا يُكفرُ بها، فإذا حكمَ القاضي بخلافِ الشرعِ لهواه فلا يكفُرُ، وله حكمُ أمثالِه من أهلِ الذنوبِ بإجماعِ أهلِ السنةِ والجماعةِ.

قالَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخَامِسُ: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَلَو عَمِلَ بِهِ فَقَدْ كَفَرَ إِجْمَاعًا)**، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾، فَمَنْ أَبْغَضَ الرَّسُوْلَ ﷺ، أَوْ أَبْغَضَ القُرْآنَ، أو أبغضَ ما جاءَ به الرسولُ فقد كفرَ، وهو من النفاقِ الاعتقاديِّ.

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾، فالمرادُ بالكرهِ المشقةُ، وهذا لا ينافي حبَّه والرغبةَ بالقيامِ به.

قالَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّادِسُ: مَنِ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِيْنِ الرَّسُولِ ﷺ أَوْ ثَوَابِهِ أَوْ عِقَابِهِ كَفَرَ؛ والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾)**، ولو كانَ الاستهزاءُ على سبيلِ المزاحِ، قالَ تعالى عن هؤلاءِ المنافقين: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ﴾ فقال

تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ﴾، وهذا بإجماعِ العلماءِ.

ولكن من سخِرَ بأحدٍ من أهلِ الصلاحِ والعلمِ، وقصدَ السخريةَ بالشخصِ نفسِه لم يكفرْ، وإنما يكفُرُ من قصدَ السخريةَ بعملِه، وهو يعلمُ أنَّهُ من شريعةِ اللهِ.

فكُلُّ من أتى بقولٍ أو بفعلٍ صريحٍ في الاستهزاءِ بالدينِ فقد كفرَ ولو كانَ مازحًا، ويرجعُ في معرفةِ ذلك إلى العُرْفِ، فكلُّ ما عدَّهُ الناسُ في عُرْفِهم استهزاءً من قولٍ أو فعلٍ ولو بغمزِ العينِ أو تحريكِ اللسانِ فهو من المكفِّراتِ.

وكذلك من سبَّ اللهَ أو رسولَه ﷺ فإنه يكفُرُ؛ لأنه لا يَسبُّه إلا وهو جاحدٌ به، وهذا بإجماعِ العلماءِ.

ويُقتلُ السابُّ للهِ أو رسولِه ﷺ إجماعًا.

قالَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّابعُ: السِّحْرُ، وَمِنْهُ الصَّرْفُ وَالْعَطْفُ، فَمَنْ فعلَه أو رَضِيَ به كفرَ. والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾**)، دلَّت هذه الآيةُ الكريمةُ على أنَّ تعلُّمَ السحرِ، وتعليمَه كفرٌ أكبرُ، لأنه لا يتمُّ إلا باستخدامِ الشياطينِ والاستعانةِ بهم، والشياطينُ لا يخدمون إلا من كفرَ باللهِ، وهذا هو **السحرُ العُرْفِيُّ**: وهو رُقًى وعُقَدٌ وعزائمُ يُنفثُ فيها فتؤثِّرُ على القلوبِ والأبدانِ، فتقتُلُ وتُمرِضُ وتُفرِّقُ بين الزوجينِ.

وأمَّا ما ذكرَه الفقهاءُ من السِّحْرِ بالأدويةِ والتداخينِ، فهو استخدامٌ لطباعِ الموادِّ، وهو يُؤخذُ من علمِ الفيزياءِ، فمن جهِلَ ذلك سمَّاهُ سحرًا؛ لأنهُ قد خفِيَ عنده سببُه، ومن استخدمَ هذا النوعَ بما يضُرُّ الناسَ فإنه لا يكفرُ، ويُعزَّرُ بما يردعُه ويَزجُرُ غيرَه.

قالَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ المُشْرِكِيْنَ وَمُعَاوَنَتُهم عَلَى المُسْلِمِيْنَ، والدَّلِيْلُ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾**)، ما ذَكرَه الشيخُ هو التولِّي، وهو من المُكفِّراتِ، وأما الموالاةُ فهي مُحَرَّمةٌ، ومنها ما هو غليظٌ، وما هو دونه.

وضابطُ التولِّي هو: محبةُ الكفارِ لدينِهم، أو نُصرتُهم على المسلمين بقصدِ ظُهورِ الكفارِ على المسلمين.

وضابطُ الموالاةِ: محبةُ الكفارِ لدنياهم، وتقديمُهم ورفعُهم لغرضٍ دنيويٍّ مع سلامةِ الاعتقادِ، وعدمِ إضمارِ نيَّةِ الكفرِ والرِّدَةِ وهي فسقٌ وليست كفرًا، قالَ تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾، وقد ناداهم اللهُ باسمِ الإيمانِ، ودخلَ في ذلك من ألقى إليهم المودَّةَ كما في قصةِ حاطبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين.

فدلَّ على أنَّ فعلَه ليسَ كفرًا، وإنما هو ضلالٌ عن سواءِ السبيلِ.

وهذا التقسيمُ قرَّرَهُ أئمةُ الدعوةِ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، ودلَّت عليه النُّصُوصُ من كتابِ اللهِ وسنَّةِ محمدٍ ﷺ.

والموالاةُ: مصدرُ «والى» يُوالِي موالاةً، وهي: المحبَّةُ والنصرةُ.

وأما التولِّي: فهو مصدرُ«تولَّى» أي: اتخذَه وليًّا، وهو: بمعنى المحبةِ التامةِ والنصرةِ الكاملةِ.

قَالَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(التاسعُ: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُه الخُرُوْجُ عَنْ شَرِيْعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا وَسِعَ الخِضْرَ الخُرُوْجُ عَنْ شَرِيْعَةِ مُوْسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَهُوَ كَافِرٌ)**، من اعتقدَ أنَّ أحدًا من الأولياءِ يسعُه الخروجُ عن شريعةِ محمدٍ ﷺ كما يعتقدُ ذلك غُلاةُ الصوفيةِ، فهو كافرٌ لتضمُّنِ ذلك تكذيبَ القرآنِ وصريحِ السنةِ وإجماعِ الأمةِ، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ **الآية**، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ **الآية**، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ **الآية**، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وقالَ ﷺ: «**لا يَسْمَعُ بِي يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ لا يُؤْمِنُ بالذي أُرْسِلْتُ بِهِ إلا كَبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ**»(١) رواه مسلم.

أمَّا خُرُوْجُ الخِضْرِ عَنْ شَرِيعَةِ مُوْسَى فَلِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قد بُعِثَ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً، كما في الصحيحين: «**كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»(٢).

قَالَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(العَاشِرُ: الإِعْرَاضُ عَنْ دِيْنِ اللهِ لا يَتَعَلَّمُهُ ولا يَعْمَلُ بِهِ، والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾)**، من أعرضَ عن دينِ اللهِ بالكُليةِ لا يتعلَّمُه بأن يعرضَ عن تعلُّمِ أصلِ الدينِ الذي لا يصِحُّ إيمانُ العبدِ إلا به، ولا يعملُ به فلا يعملُ بالكلِّيَّةِ، بأن يتركَ جنسَ العملِ فهو كافرٌ، وهذا هو كفرُ الإعراضِ، وهو: **أن يُعرضَ عن الحقِّ بعد**

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب (التيمم)، (١/ ٧٤)، رقم (٣٣٥)، ومسلم، كتاب (التيمم)، باب (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا)، (١/ ٣٧٠)، رقم (٥٢١).

معرفتِه وقيامِ الحُجَّةِ عليه، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾.

قالَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا فَرْقَ في جَمِيعِ هذهِ النَّواقِضِ بين الهازلِ والجادِّ والخائفِ، إلَّا المُكْرَهَ، وكلُّها مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُوْنُ خَطَرًا، وأَكْثَرِ مَا يَكُوْنُ وُقُوْعًا، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَها ويَخافَ مِنْهَا عَلَى نَفْسِهِ، نَعُوذُ باللهِ من مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ وَأَلِيْمِ عِقَابِهِ)**.

❁ تضمنتْ هذه الجملةُ من كلامِ الشيخِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسائلَ:

الأولى: أنَّ الهازلَ لا يُعذرُ إذا أتى بناقضٍ من نواقضِ الإسلامِ، كمن استهزأَ بالدينِ هازلًا لقولِه: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ﴾ فقالَ تعالى: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾.

الثانيةُ: أنَّ الخائفَ لا يُعذرُ، كمن تولَّى المشركين خوفًا منهم قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾ الآية.

فبيَّنَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا في هذه الآيةِ الكريمةِ أنَّ من تولَّى الكُفَّارَ خشيةَ أن تكونَ الدائرةُ لهم فهو مُنافقٌ، فالمرضُ المذكورُ في الآيةِ هو مرضُ النفاقِ.

ولأنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا لم يَستَثْنِ إلا المُكرَهَ، قالَ تعالَى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ **الآية**، فلم يعذُرِ اللهُ إلا من أُكْرِهَ، مع كونِه مطمئنًا بالإيمانِ، وأما غيرُ المُكرِهِ فقد كفرَ بعد إيمانِه سواءً فعلَه خوفًا، أو طمعًا، أو مدارةً، أو مَشَحَّةً بِوَطِنِه، أو أهلِه أو عشيرتِه أو مالِه، أو فعلَه على وجهِ

المزاحِ، أو لغيرِ ذلك من الأغراضِ إلا المُكْرَه.

ثم قالَ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ﴾ **الآية،** فصرَّحَ بأنَّ هذا الكفرَ لم يكن بسببِ الاعتقادِ أو الجهلِ أو بُغْضِ الدِّينِ أو محبَّةِ الكُفْرِ، وإنما سببُه أنَّ له في ذلكَ حَظًّا من حظوظِ الدنيا فآثَرَه على الدينِ، كما حصلَ من هِرَقلَ عظيمِ الرومِ، فإنه أقرَّ بصدقِ الرسولِ ﷺ وأرادَ أن يُسلِمَ ولكنَّه خشيَ على ملكِه، وقال إنما أردتُ أن أختبِرَكم كما ثبتَ في الصحيحِ، فمنعَه الطمعُ في الدنيا من الإسلامِ.

الثالثةُ: أنَّ المُكْرَهَ لا يُكَفَّرُ، والإنسانُ لا يُكْرَهُ إلا على الكلامِ أو الفعلِ، وأما عقيدةُ القلبِ فلا يُكرهُ عليها أحدٌ، ولذا قالَ تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ كمن أُكْرِهَ على سبِّ اللهِ أو سبِّ رسولِه ﷺ أو أُكرِهَ على السجودِ للصنَّمِ، أو غيرِ ذلك من الأقوالِ أو الأفعالِ المكفِّرةِ فلا حرجَ عليه كما تقدَّمَ.

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ: «**تأملتُ المذاهبَ فوجدتُ الإكراهَ يختلِفُ باختلافِ المُكْرَهِ فليسَ المُعْتبَرُ في كلماتِ الكُفْرِ كالإكراهِ المُعتبَرِ في الهِبةِ ونحوِها**».

فالمرأةُ قد تهبُ زوجَها حُلِيَّها خوفًا من الطلاقِ، أو سوءِ العشرة، ويُعَدُّ هذا إكراهًا، ومثلُ هذا لا يكونُ على الكفرِ، وإنما يكونُ بالتعذيبِ من ضربٍ أو قيدٍ كما نصَّ على ذلك الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ مسألة:

أما الجهلُ ومنه التأويلُ فهو عذرٌ في مسألتين:

الأولى: المسائلُ التي قد يخفى دليلُها على بعضِ الناسِ، وليس فيها مناقَضةٌ للتوحيدِ، ولا مناقَضةٌ للإيمانِ بالرَّسُولِ ﷺ كإنكار بعضِ الصفاتِ، فهذه المسائلُ لا يُكفَّرُ المُخَالِفُ فيها وإن أُقيمت عليه الحُجَّةُ لِشُبْهَةِ التأويلِ، وهو نوعٌ من الجهلِ.

ولذا كانَ شيخُ الإسلامِ يقولُ للأشاعرةِ: «**أنا لو وافقتُكم لكنتُ كافرًا؛ لأني أعلمُ أنَّ قولَكم كفرٌ، وأنتم عندي لستم بكفارٍ؛ لأنَّكُم جُهَّالٌ**».

فمن آمنَ باللهِ ورسولِه ثُمَّ أخطأَ في مسألةٍ من الأصولِ أو الفروعِ، فإنه يُعذرُ بالجهلِ؛ لأنه قد لا يبلغُه الحقُّ الذي يجبُ القولُ به أو يبلغُه ولا يثبتُ عنده، أو تقومُ عنده شُبُهَاتٌ يُعارِضُ بها الحقَّ، قالَ تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ والخطأُ هو الجهلُ، وفي مسلمٍ: قالَ اللهُ تَعالَى: «**قد فعلتُ**».

أما المسائلُ التي فيها مُناقَضةٌ للتوحيدِ كالشركِ باللهِ، أو مُناقَضةٌ للإيمانِ بالرسولِ ﷺ كالإيمان بِمُدَّعِي النبوةِ بعده؛ فلا يُعذرُ فيها بالجهلِ في أحكامِ الظاهرِ فيُسَمَّى كافرًا ولا يُصَلَّى عليه ولا يُستغفرُ له ولا تُؤكلُ ذبيحتُه ولا يُزوَّجُ للمسلمةِ، قالَ ابنُ القيمِ: «**والإسلامُ هو توحيدُ اللهِ وحدَه لا شريكَ له، والإيمانُ باللهِ والرسولِ واتِّبَاعُه فيما جاءَ به فمَن كانَ على ذلك فَهُوَ المُسْلِمُ، ومن لم يكن على ذلك فليس بمسلمٍ، إما أن يكونَ كافرًا معاندًا، وإما أن يكونَ كافرًا جاهلًا**»ا. هـ.

لكنَّ أحكامَ الوعيدِ على الكفرِ من استباحةِ الدمِ والمالِ والسبيِ والتخليدِ في النارِ لا تترتَّبُ على العبدِ حتى تقومَ عليه حُجَّةُ اللهِ على عبادِه وهي قائمةٌ بالقرآنِ، فمن بلَغَه القرآنُ وفهِمَ معانيَه فقد بلغَتْه الحُجَّةُ، قالَ تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾،

وقال: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾.

الثانيةُ: المسائلُ الظاهرةُ المعلومةُ بالدينِ بالضرورةِ إن كانَ مثلُه يجهلُها كمن نشأَ في باديةٍ أو كانَ حديثَ عهدٍ بإسلامٍ، وإن كانَ مثلُه لا يجهلُها لم يعذرْ، كالذي يعيشُ في مدائنِ المسلمين فلا يُعذرُ بإباحةِ الزنا أو الربا، أو القولِ بعدمِ وجوبِ الصلاةِ والزكاةِ، فإن كان ناشئًا في باديةٍ، أو كانَ حديثَ عهدٍ بإسلامٍ لم يكفُرْ حتى يعرفَ.

واللهُ أعلمُ وصلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعين

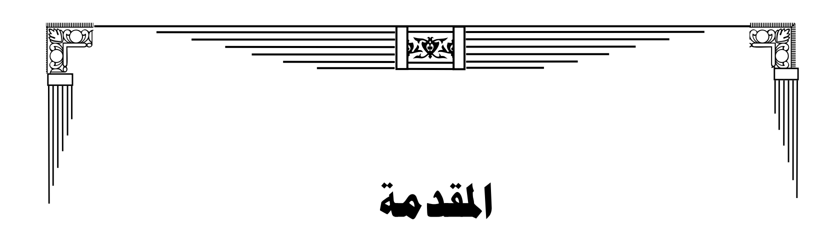
❀◈❀

شـــرح

الأصول الستة

شرح فضيلة الشيخ

حمـــد الحمـــد



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد،

فهذه رسالة نافعة مختصرة في أصولٍ ستة، جمعها الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ)، وقد جدّد الله به الدين، ونفع الله عَزَّوَجَلَّ به العباد، وقامت عليه هذه الدولة المباركة، التي أظهر الله بها الشرائع والشعائر، وأقام الله عَزَّوَجَلَّ بها ما اندرس من الدين، فلله الحمد والمنة.

୨♢ଓ

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

من أعجب العجاب، وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب ستة أصول بينها الله تعالى بيانًا واضحًا للعوام فوق ما يظن الظانون، ثم بعد هذا غلط فيها كثير من أذكياء العالم وعقلاء بني آدم إلا أقل القليل.

الشرح

فقد بيّن الله عَزَّوَجَلَّ هذه الأصول الستة في كتابه، وبيّنها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في سنته، بيانًا واضحًا، حتى إن العامة من العرب -الذين نزل القرآن بلغتهم- يفهمون ذلك، ومع ذلك غلط في هذه الأصول كثير من عقلاء وأذكياء العالم؛ لأنهم أعرضوا عن الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣]: أي بما عندهم من العلم المبني على الضلالات، فخفيت عليهم هذه الأصول العظيمة الواضحة.

وذلك أن في القرآن ما لا يُعذر أحد بجهله؛ لأنه يفهمه العامي والعالم، كقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣،وغيرها]، والعامي إذا قرأ القرآن فهم الكثير منه، والقرآن منه ما يفهمه العامي، ومنه ما يفهمه العلماء، ومنه ما اختص الله عَزَّوَجَلَّ بعلمه، كالحروف المقطعة، وإن كان الراجح أنه يُراد بها تحدي الكفار؛ لأن القرآن نزل بلغتهم التي تجتمع من هذه الحروف، ومع ذلك فإنهم لا يقدرون أن يأتوا بآية منه.

المتن

الأصل الأول

إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين وأتباعهم.

الشرح

إخلاص الدين هو إفراد العبادة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وقد بيّن الله عَزَّوَجَلَّ هذا الأصل في كتابه أعظم البيان، وأتمه وأكمله، وأبلد العامة يفهم هذا، ويفهم أن الله قد أمر في القرآن ألا يُعبد سواه، ولا يُشرَك به شيء، وأن صرف العبادات إلى غيره سبحانه من الشرك الذي يُخرج صاحبه من الإسلام.

وأكثر القرآن جاء في بيان هذا الأصل، ومع ذلك تجد من أدعياء العلم من لا يعرف هذا التوحيد، فيُقرّ عبادة الأموات من دون الله عَزَّوَجَلَّ، ويُقرّ عبادة الأضرحة.

وأوقع الشيطان في قلوبهم، وجرى هذا على ألسنة علماء السوء، أن الذي يدعو لإخلاص الدين لله عَزَّوَجَلَّ يُقصّر في حق الصالحين؛ لأنهم يعبدون الصالحين والأولياء من دون الله عَزَّوَجَلَّ، ويقولون بأن من يدعو للتوحيد لا يحب الصالحين والأولياء.

ونحن نحب الصالحين ونقتدي بهم، لكن لا نعبدهم من دون الله جل وعلا، وهؤلاء جعلوا الشرك من محبة الصالحين، فإذا كنت تحب الصالحين فتقرب إليهم بالنذور والدعاء وغير ذلك من الشرك.

المتن

الأصل الثاني:

أمر الله بالاجتماع في الدين ونهى عن التفرق فيه، فبين الله هذا بيانًا شافيًا تفهمه العوام، ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا، وذكر أنه أمر المسلمين بالاجتماع في الدين ونهاهم عن التفرق فيه، ويزيده وضوحًا ما وردت به ألسنة من العجب العجاب في ذلك، ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين، وصار الاجتماع في الدين لا يقوله إلا زنديق أو مجنون.

الشرح

أمر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه، وأمر نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في سنته، بالاجتماع في الدين، وترك التفرق فيه، فقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وحبل الله هو القرآن، وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وقال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩]: أي كانوا فرقًا، يكفّر بعضها بعضًا، ويلعن بعضها بعضًا، وفي الحديث: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على**

اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»[١]، وقال: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تُناصحوا من ولّاه الله أمركم**»[٢].

فالواجب أن نكون أمة واحدة، قال تعالى: ﴿**هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ**﴾ [الحج: ٧٨]، فالله عَزَّوَجَلَّ سمّانا مسلمين، نستسلم لله عَزَّوَجَلَّ وننقاد ونخضع له بالتوحيد والطاعة.

ولا يجوز للأمة أن تتفرق فرقًا ومللًا ونِحَلًا كالأمم السابقة، بل نحن المسلمون جميعًا على دين واحد، ولذا قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٣] ولذا: لا يجوز لمسلم أن ينتسب لأي جماعة من هذه الجماعات التي يُوالَى ويُعادَى عليها، بأن تكون لها بنود من الدين تجتمع عليها وتُفارِق الأمة عليها، وهذا من البدع، ونحن أمة واحدة، كما قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ**﴾ [المؤمنون: ٥٢].

وصار أدعياء العلم في تفرق واختلاف في دين الله عَزَّوَجَلَّ، حتى صار الفقه هو التفرق في دين الله عَزَّوَجَلَّ، وصار من يأمر الناس باتباع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والرجوع إلى السنة، وترك التفرق في الدين في أصوله وفروعه، إذا دعاهم إلى هذا قالوا: هذا زنديق، هذا مجنون. وليس مراد الشيخ ما يكون من الاجتهاد الذي وقع فيه خلاف بين الفقهاء الأربعة وغيرهم، فقد وقع هذا بين الصحابة من قبل.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٦) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.وابن ماجه(٣٩٩٢) عن عوف بن مالك

(٢) أخرجه مسلم(١٧١٥) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) البخاري٢٦٩٧ ومسلم ١٧١٨عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

المتن

الأصل الثالث:

إن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبدًا حبشيًا، فبين الله هذا بيانًا شائعًا كافيًا بوجوه من أنواع البيان شرعًا وقدرًا، ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به.

الشرح

فمن تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمّر علينا؛ لأنه لا جماعة إلا بإمام يُسمَع له ويُطاع، وجاءت الأدلة في الكتاب والسنة بهذا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يُطاع طاعة مستقلة، حتى لو جاء بما ليس في القرآن، وأما طاعة أولياء الأمور فهي تبع لطاعة الله عَزَّوَجَلَّ وطاعة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولذا جاء في الصحيحين: (**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**)[١].

حتى لو كان من تأمر عبدًا حبشيًا، كما في الحديث عند البخاري: «**اسمعوا وأطيعوا، وإن استُعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة**»[٢]، فمن تأمر على المسلمين، سواء كان قرشيًا أم غير قرشي، عربيًا أم غير عربي، أسود أم أبيض، فإنه يُسمَع له ويُطاع، وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**ومن كره من أميره شيئًا فليصبر، فإن من**

(١) البخاري٧١٤٤ ومسلم١٨٣٩.

(٢) البخاري٦٩٦ عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

خرج من السلطان شبرًا فمات، مات ميتة جاهلية»(١)، وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**من مات وهو مفارق للجماعة، فإنه يموت ميتة جاهلية»**(٢)، ولما ذكر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ شرار الأئمة قال: «**وشرار أئمتكم الذين تُبغضونهم ويُبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»، قالوا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم؟. قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة**»(٣).

ومن خالف هذا الأصل العظيم فهو مبتدع، كما نص على هذا الأئمة، ومن الفرق التي تخالف هذا الأصل الخوارج، ويترتب على هذا سفك الدماء، وتضييع الأموال، والوقوع في الأعراض، وغير ذلك من المفاسد العظيمة التي يقع فيها الخوارج، ولذا: فهم ضرر على الإسلام، وكما قال ابن حزم: الخوارج والرافضة لم يفتحوا للإسلام لا حصنًا ولا قرية. وإنما هم ضرر على الأمة، وكثير من الجماعات الموجودة في هذا الوقت تتبنى هذا الأصل وهو الخروج على ولاة أمر المسلمين.

ويظنون أن من أصول الإسلام إقامة الخلافة، وهذا لم يؤمَر به شرعًا، وإنما أُمرنا بالتوحيد واتباع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والله مظهر دينه، ومن وقت قيام الدولة العباسية في القرن الثاني الهجري، وليست الخلافة واحدة، فبنو أمية في المغرب، وبنو العباس في المشرق، ثم بعد ذلك تكاثرت الدول الإسلامية، ثم إن الدولة الإسلامية ليست امبراطورية بجباية المال والتسلط، وإنما يُقصد بالخلافة إظهار الدين وإقامة التوحيد، وهذا هو الأصل، ولذا: لما أرسلت المرأة بهدية لسليمان عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، قال: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ [النمل: ٣٦]: أي لا

---

(١) متفق عليه. ٧٠٥٣خ. ١٨٤٩م

(٢) أخرجه مسلم.١٨٤٨ عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم. ١٨٥٥ عن عوف بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

أرضى إلا بإسلامكم.

فالمقصود أن الواجب على الأمة الإسلامية أن تُراعي هذا الأصل العظيم، أصل السمع والطاعة، ولزوم الجماعة.

المتن

الأصل الرابع:

بيان العلم والعلماء، والفقه والفقهاء، وبيان من تشبه بهم وليس منهم، وقد بين الله هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠] إلى قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧].

ويزيده وضوحًا ما صرحت به السنة في هذا الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد، ثم صار هذا أغرب الأشياء، وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم لبس الحق بالباطل، وصار العلم الذي فرضه الله تعالى على الخلق ومدحه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون، وصار من أنكره وعاداه وصنف في التحذير منه والنهي عنه هو الفقيه العالم.

الشرح

تعلمون أن العلماء يدخلون في أولي الأمر، وقد أُمرنا أن نسألهم، كما قال تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧]، فما هو العلم؟ ومن هم العلماء؟ وما هو الفقه؟ ومن هم الفقهاء؟ لأنه كان في زمانه وقبله وبعده من يدعي أنه من أهل العلم وأهل الفقه، فيُضل الناس، كما في الحديث:

«**اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»(١).

والعلم هو معرفة الحق بدليله، والحق هو الكتاب والسنة، ولذا: قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧]: والذكر هو القرآن، وبيانه بالسنة النبوية، فلا بد أن تعرف العلم حتى تعرف العلماء، ولا بد أن تعرف الفقه حتى تعرف الفقهاء.

العلم قال الله قال رسوله   قال الصحابة هم أولوا العرفان

والفقه هو معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها التفصيلية، ولذا: فليس المقلدة فقهاء.

ويتشبه بالعلماء والفقهاء من ليس منهم، وهم المتعالمون، فيُضلون الناس، ويغتر الناس بحديثهم وفصاحتهم، ويسألونهم ويأخذون عنهم، فيضلوا.

وضرب الشيخ مثالًا لبني إسرائيل، وذلك أن علماءهم كانوا يلبسون الحق بالباطل، أي يخلطون الحق بالباطل ولا يُميزون، فيلتبس الأمر، ويكتمون الحق عن العامة، فمثلًا الآن: جاء الشرع بمحبة الصالحين، لا عبادتهم، لكنهم يخلطون بين الأمرين، فإذا قلتَ: هؤلاء الذين يأتون لقبر هذا الرجل –الذي يزعمون أنه صالح–، وينذرون له ويطوفون حول قبره. قالوا: هذا رجل صالح، أتُنكر محبة الصالحين؟ أتُنكر أن الصالحين والأولياء لهم مقام عند الله عَزَّوَجَلَّ؟. تقول: أنا لا أُنكر هذا، إن كان صالحًا فالصالحون لهم مقام، لكن لا نعبدهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ، فالعبادة شيء آخر، فلا تخلطوا هذا بهذا. وقد قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد الله ورسوله، فقولوا:**

(١) أخرجه البخاري ١٠٠ ومسلم٢٦٧٣ عن ابن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

عبد الله ورسوله»(١)، فهو رسول ولكنه عبد، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠، فصلت: ٦]: فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشر يوحى إليه، والإله هو الذي يُعبد، والرسول يُطاع فيما يُبلغه، وكذلك لا نخلط بين أن يكون الرجل صالحًا، وبين أن يكون معبودًا من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، ملأ بعض الفقهاء كتبهم بالبدع والضلالات.

وصار من يتفوّه بالكتاب والسنة ويستدل بهما، فيدرُس كلام الفقهاء وأئمة الإسلام، ولكنه يعرف الدليل والأصول التي سار العلماء عليها، إذا جاء أحد على هذه الطريقة قالوا: هذا زنديق، هذا مجنون.

وصار من يُنكر ما عليه السلف، وما جاء في الكتاب والسنة، ومشى على التقليد المحض، وملأ المصنفات من البدع والضلالات، صار عندهم الفقيه العالم.

---

(١) رواه البخاري ٣٤٤٥ عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

المتن

الأصل الخامس:

بيان الله سبحانه لأولياء الله وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء الله المنافقين والفجار، ويكفي في هذا آية من سورة آل عمران وهي قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] الآية، وآية في سورة المائدة وهي قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] الآية. وآية في يونس وهي قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، ثم صار الأمر عند أكثر من يدعى العلم وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع، إلى أن الأولياء لا بد فيهم من ترك اتباع الرسل ومن تبعهم فليس منهم ولا بد من ترك الجهاد فمن جاهد فليس منهم، ولا بد من ترك الإيمان والتقوى فمن تعهد بالإيمان والتقوى فليس منهم، يا ربنا، نسألك العفو والعافية إنك سميع الدعاء.

الشرح

هذا الأصل في بيان من هم أولياء الله؟ لأن هؤلاء صاروا يعبدون من يزعمون أنهم أولياء، وعبادة الأولياء أو الأنبياء أو الملائكة شرك بالله عَزَّوَجَلَّ، لكن هؤلاء جعلوا الفجار أولياء، ولذا: ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رسالة في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان؛ لأن هؤلاء يدعون الناس إلى عبادتهم، ويُضللون الناس بما يجري على أيديهم مما يزعمون أنه كرامات، وليس بكرامات، وإنما هي أحوال شيطانية، فقد يطير الإنسان في الهواء، ويمشي على الماء، ويرونه في عرفة ويسلّم على بعضهم، وفي اليوم نفسه يكون في بلده ويسلّم على الناس، وهذه

أحوال شيطانية من جنس السحر.

أما أولياء الرحمن فلا يرضون أن يعبدهم الناس من دون الله عَزَّوَجَلَّ، **ولذا:** يجب التفريق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، الذين يدعون الناس إلى عبادتهم.

وإذا أردت أن تعرف الولي من غيره فانظر إلى حاله، فإن كان متبعًا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو الولي.

وذكر المؤلف قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]: فمن يترك الدين ردة وكفرًا، فسوف يأتي الله بغيرهم، والله عَزَّوَجَلَّ غني، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ۝١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ [فاطر: ١٥ - ١٧]، وهؤلاء الغير يحبهم الله عَزَّوَجَلَّ ويحبونه، وهؤلاء هم أولياء الله عَزَّوَجَلَّ وأحبابه، الذين يحبهم ويحبونه.

ومن أوصافهم: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾ [المائدة: ٥٤]، هؤلاء هم الأولياء، لا الذين يأتون الفواحش ويقولون: رُفعت عنا التكاليف. ويتركون الجهاد وفرائض الإسلام، ويقولون: قد وصلنا إلى الله، فرُفعت عنا التكاليف. ولذا: فمنهم -أجلّكم الله- من كان يأتي الفواحش في الطرقات، ويقولون: رُفعت عنه التكاليف.

وذكر الله عَزَّوَجَلَّ أن الولي هو المؤمن التقي، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، فبقدر ما يكون عند العبد من التقوى فله مثل ذلك

من الولاية، ولذا: فالعاصي والفاسق من المؤمنين له نصيب من الولاية؛ لإيمانه ولما عنده من التقوى، والولاية درجات، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [فاطر: ٣٢]، والسابق أكمل في الولاية.

وعند أهل الضلال أن الولي لا يتبع الرسل، ويسعه الخروج من الشريعة المحمدية، ويقولون: الولي مثل الخضر، لا يتبع موسى. فجعلوا -قبحهم الله- الأولياء مثل الأنبياء.

وعندهم أن من جاهد في سبيل الله ليس من الأولياء، ولذا: فإن هؤلاء الصوفية عند الاستعمار الإنجليزي، ركبهم الإنجليز، وكان الصوفية ينهون أهل البلدان الإسلامية عن جهاد الإنجليز.

وعندهم أن ترك الإيمان والتقوى هو الولاية؛ لأن الولي عندهم رُفعت عنه التكاليف.

فيسأل الشيخُ ويدعو الله عَزَّوَجَلَّ أن يحفظه من ذلك، ونحن كذلك نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعافينا من هذه الضلالات العظيمة.

❊❊❊

المتن

الأصل السادس:

رد الشبة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة، وهي أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق، والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا أوصافًا لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر، فإن لم يكن الإنسان كذلك فليعرض عنهما فرضًا حتمًا لا شك ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدى منها فهو إما زنديق، وإما مجنون لأجل صعوبة فهمها، فسبحان الله وبحمده كم بين الله سبحانه شرعًا وقدرًا، خلقًا وأمرًا في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى بلغت إلى حد الضروريات العامة ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ٧ – ١١].

آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

الشرح

هذا الأصل في رد الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة، واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة، كيف صرفوا الناس عن القرآن والسنة؟ تقدم أن القرآن والسنة يفهم العامي الكثير منها، وذكر الشيخ أنهم صرفوا الناس بقولهم: القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق. فإذا جاء ينظر في القرآن والسنة وقد

درس وتعلم وتفقه ودرس اللغة العربية، قالوا: اترك الكتاب والسنة؛ لأنك لست بمجتهد مطلق.

وإذا سألناهم عن شروط المجتهد المطلق، ذكروا شروطًا قد لا تتوفر في أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا.

وأهل الأصول عندما يذكرون شروط المجتهد المطلق، لا يقولون بأن من لم يكن كذلك لا ينظر في الكتاب والسنة، لكن هؤلاء يقولون: اترك الكتاب والسنة ما دامت الشروط لم تتوفر فيك.

والقرآن واضح في وجوب الرجوع إليه، قال تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩]: أي ومن بلغه القرآن، وفي الحديث: «**تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»(١)، وقد حفظ الله عَزَّوَجَلَّ القرآن والسنة لتقوم الحجة بهما، وهذه أدلة واضحة، ومع ذلك صرفوا الناس عن ذلك.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) رواه ابن ماجه (٤٣) عن العرباض بن سارية رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

مُحتويات الكِتاب